ء

السـؤال الفلسفي وإمكان المعرفة من العصر اليوناني إلى العصر الحديث (نماذج مختارة)

د/عزة صبحي أحمد عويس

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات (القاهرة)

جامعة الأزهر

السؤال الفلسفي وإمكان المعرفة من العصر اليوناني إلى العصر الحديث (نماذج مختارة)

عزة صبحي أحمد عويس
قسم العقيدة والفلسفة، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة – جامعة الأزهر – مصر.
البريد الالكتروني:azzasobhy2010@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جانباً مهماً من جوانب الفكر الفلسفي، وهو ما يتعلق بدراسة السؤال الفلسفي ومدى تطوره عبر التاريخ الفلسفي ، ويوضح القيمة العلمية للسؤال وعلاقته الوثيقة بالمعرفة ،واستخلاص الصيغ و التجليات المختلفة التي ظهر بها السؤال الفلسفي عبر عصور الفلسفة المختلفة، بدءًا بالعصر اليوناني ومروراً بالعصر الوسيط (المسيحي والإسلامي) ثم عصر النهضة وانتهاءً بالفكر الفلسفي الحديث ، وذلك من خلال نماذج فلسفية مختارة ظهر في فكرها الفلسفي السؤال وأثر في الفكر الفلسفي بشكل واضح؛ إذ يهدف البحث إلى دراسة العلاقة بين السؤال الفلسفي وإمكان المعرفة من ناحية إدراكها وتحصيلها وحدودها وأدواتها إضافة إلى مسائل فرعية أخرى اقتضتها مسألة البحث.

هذا ويتكون البحث من مقدمة ومبحث تمهيدي أول ثم أربعة مباحث رئيسة ثم خاتمة وثبتٌ بالمراجع والمصادر، أما **المقدمة ففيها:** الأهداف العامة للبحث ومنهج الدراسة وحدود الدراسة، وخطة البحث وما يتعلق بها. **والمبحث التمهيدي الأول** وفيه ألقيت نظرة عامة على مصطلحات البحث وكلماته المفتاحية. ثم **المبحث الثاني** وفيه: السؤال الفلسفي في الفكر اليوناني، **والمبحث الثالث:** السؤال الفلسفي في العصر الوسيط (المسيحي – الإسلامي)

والمبحث الرابع: السؤال الفلسفي في عصر النهضة ومشارف العصر الحديث. تم الخاتمة وفيها أهم النتائج وبعض التوصيات ثم ثبت المراجع والمصادر. **وكان من أهم النتائج التي توصل البحث إليها:** للسؤال أهمية كبيرة في مجال المعرفة وقيمة علمية لا يمكن إنكارها في تطور الفكر الفلسفي؛ إذ هو يفتح آفاق الفكر، واستمرار السؤال يضمن استمرار الإبداع والتطور الفكري.

منهج الدراسة: اتبعت منهجاً يجمع بين المنهج التحليلي والاستقرائي الاستنباطي، والتاريخي وذلك حسب ما يقتضيه سياق البحث.

الكلمات المفتاحية: السؤال، السؤال الفلسفي، المعرفة، إمكان المعرفة.

The research consists of **an introduction**, **a first introductory section**, four main sections ،a conclusion, and a list of references and sources. The introduction includes the general objectives of the research, the study methodology, the research plan, and everything related to it. The first introductory section provides an overview of the research terms and keywords. Then the second section includes : The philosophical question in Greek thought, the third section: The philosophical question in the Middle Ages (Christian – Islamic), and the fourth section: The philosophical question in the Renaissance and the beginning of the modern era. The conclusion includes the most important results and some recommendations, then a list of references and sources. The most important results reached by the research were: The question has great importance in the field of knowledge and an undeniable scientific value in the development of philosophical thought; as it opens up horizons of thought, and the continuity of the question ensures the continuation of creativity and intellectual development, and the cessation of questions means intellectual stagnation and stagnation.

Study Methodology :I followed a method that combines induction, description and analysis ،according to the nature of each of the aforementioned topics.

Keywords :Philosophical question ،possibility of knowledge, origin of knowledge, tools of philosophizing.

The Philosophical Question and the Possibility of Knowledge (From the Greek era to the modern era) (selected models)

Dr: Azza Sobhy Ahmed Ewies

Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Cairo – Al-Azhar University – Egypt.

Email :azzasobhy٢٠١٠@gmail.com

Abstract:

This research deals with an important aspect of philosophical thought, which is related to studying the philosophical question and the extent of its development throughout philosophical history, clarifying the scientific division of the question and its close relationship with knowledge, and extracting the different forms in which the philosophical question appeared throughout the different ages of philosophy, starting with the Greek era, passing through the Christian and Islamic Middle Ages, then the Renaissance era, and ending with modern philosophical thought, through selected philosophical models that appeared .In her philosophical thought, the philosophical question clearly influenced philosophical thought; as the research aims to study the relationship between the philosophical question and the possibility of knowledge in terms of its perception, acquisition, limits and tools, in addition to other subsidiary issues required by the research question.

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقدمـة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد النبي الأمي الهادي الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد ...

فإن الله ﷻ وهب الإنسان العقل وجعله مناط التكليف، وأمر الإنسان بالنظر والتفكر والتدبر في نفسه وفي جنبات الكون ليحصل على إجاباتٍ لتلك الأسئلة التي شغلت باله وأرهقت ذهنه وأوقعته في الحيرة والشك بسبب تزاحم وتلاحق الحوادث والظواهر منذ وجد على البسيطة، فكل ما حول الإنسان يثير نزعة الفضول والدهشة التي تحفز العقل على طرح مزيدٍ من الأسئلة؛ الموت والحياة والمصير، الشمس والقمر والليل والنهار والرياح والأمطار والأفلاك ، النفس والجسد والعدل والخير والشر؛ ففي كل مناحي الحياة وتفصيلاتها دائما نجد سائلاً وسؤالاً ومسئولاً عنه، والإجابات طوق النجاة ، والمعرفة هي الهدف المنشود؛ لذا كانت المعرفة وأدواتها ومناهج تحصيلها إ باب مهم من أبواب الفلسفة ومرتكزاً رئيساً عند كل فيلسوف؛ فتعددت مصادرها وتنوعت مناهجها وأخذت عناية واهتمام الباحثين والدارسين في كل عصر .

وإذا كان ذلك كذلك؛ فالسؤال عماد الفكر الفلسفي وهو الوسيلة الأكثر استخداماً في أي مواجهة إقناعية أو مناظرة عقلية، فعقل الإنسان منذ خلقه الله ﷻ في حيرة مستمرة ودهشة غير مطمئنة ينتج السؤال تلو السؤال محاولاً فهم واستكشاف غموض نفسه والكون حوله، وبكل جوابٍ يدركه تزداد معارفه وتتسع

مداركه، وكلما فكر وطرح أسئلة أكثر؛ كلما ازدادت معارفه أكثر، وبدون استمرار وجود وجَودة الأسئلة لا يمكن أن نحقق إبداعاً فكرياً أو علمياً.

ولما كان السؤال بهذا القدر من الأهمية، وكان من ركائز التفلسف وأداة من أدوات المعرفة، وكان حاضراً بقوة في كل عصور الفكر الفلسفي واتجاهاته الكبرى؛ فقد وقع اختياري على موضوع حيوي فعال يمارسه العوام – صغاراً وكباراً – ويمارسه الخواص ولا يستغني عنه خواص الخواص من المفكرين والعلماء وهو:

السؤال الفلسفي وإمكان المعرفة من العصر اليوناني إلى العصر الحديث (نماذج مختارة)

مشكـــــلة البحث:

عند طرح الأسئلة التالية تتضح مشكلة البحث:

- ما السؤال الفلسفي؟ وما إمكان المعرفة؟
- ما القيمة العلمية للسؤال الفلسفي؟ وما دوره في تاريخ الفلسفة والتفلسف؟
- هل للسؤال الفلسفي القدرة على فتح آفاق المعرفة؟ وما العلاقة بينه وبين إمكان المعرفة؟
- هل للسؤال الفلسفي صيغ وأشكال مختلفة؟ وهل هناك صيغ مستحدثة تناسب العصر الحديث؟
- هل هناك نماذج لأسئلة وأجوبة أسهمت في إثراء المعارف الإنسانية على مدار التاريخ الفكري؟
- هل كل سؤال فلسفي لابد له جواب مقنع كان أو غير مقنع؟
- ما الأهم في التاريخ الفلسفي؟ السؤال أم الإجابة؟

أسباب اختيار موضوع البحث:

- الرغبة في دراسة موضوع يتعلق بالفلسفة.
- القيمة العلمية لنظرية المعرفة والقيمة العلمية للسؤال في الفكر الفلسفي.
- الوقوف على تاريخ السؤال وتطوره عبر عصور الفكر الفلسفي المختلفة.
- إثراء المكتبة الفلسفية بموضوع لم يسبق دراسته دراسة تأصيلية متخصصة.
- التطرق إلى جانب من جوانب المعرفة الثري الذي يشوبه بعض الغموض.
- بيان الحاجة لدراسة الفلسفة ومناهجها وتطبيقاتها وأنه لا يمكن الاستغناء عنها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات المطروحة سلفاً في إشكالية البحث ، وذلك بتتبع ثقافة وتاريخ السؤال في الفكر الفلسفي عبر العصور الفلسفية المختلفة، بداية بالعصر اليوناني مروراً بعصر النهضة، وحتى مشارف العصر الحديث ،ويهدف أيضاً إلى ايضاح القيمة العلمية للسؤال وعلاقته الوثيقة بالمعرفة ،وكيف ساهم الإبداع في طرح الأسئلة في إثراء الفكر الإنساني عموما والفكر الفلسفي خصوصاً ؛ فقامت المناظرات وفتحت مجالات الحوار الجاد الهادف مما ضمن استمرار حلقات النقاش والتفاعل الإنساني في أبهى حلة وأزهى صورة وصولاً إلى معرفة حقة يقينية، فقيمة أي بحث بقيمة موضوعة وقيمة الموضوع غايته ، والموضوع هنا السؤال الفلسفي، والغاية: المعرفة التي هي منتهى آمال كل رحلة فكرية وكل عاصفة ذهنية .

حـــــدود الدراسة وأسباب اختيار نماذج البحث:

الموضوع الرئيس في هذا البحث هو: **السؤال الفلسفي وعلاقته بالمعرفة** عبر عصور الفلسفة، ومن المؤكد أن الدراسة هنا محكومة بإطار زمني محدد، يبدأ من الفلسفة اليونانية وينتهي بالفلسفة الحديثة، وهذا الإطار الزمني لا يمكن للبحث استيعابه أو تغطيته بذكر كل النماذج الفلسفية التي ظهر في فكرها

موضوع الدراسة، ولما كان الأمر كذلك اخترت أبرز الفلاسفة من كل عصر والذين كانت لهم عناية واضحة بموضوع البحث. مما يجب ذكره هنا أني أخترت نماذج المبحث المذكورة دون غيرها للأسباب الآتية:

- وضوح الفكرة محل البحث عند كل فيلسوف تم اختياره ودراسة فلسفته من هذا الجانب.

- مذهبهم في المعرفة متكامل يجمع بين الوضوح والتركيز على مصادر المعرفة وأدواتها.

- استخدم كل منهم أكثر من صيغة للسؤال الفلسفي فمنهم من استخدم قضية التوفيق بين الدين والفلسفة معتمدا على **سؤال النفس الداخلي** يدعوا لسيطرة الوحي الكنسي وأباء الكنيسة كالقديس أوغسطينوس (ت: ٤٣٠م) ومنهم من أعطى للعقل قيمته نوعا ما لكن ظل الحكم النهائي للكنيسة كالقديس توما الأكويني (ت ١٢٤٧م) مما يؤكد سيطرة المسيحية على فلسفة هذا العصر.

- ومن الفلسفة الإسلامية أخترت الامام الغزالي ت: ٥٠٥هـ حيث كان عالما موسوعيا له مكانته بين الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، كما أنه كان بنفسه تجربة حية للتنقل بين أسئلة النفس فخاض غمار الشك حتى وصل إلى المعرفة وكان السؤال فظهر "**سؤال المنهج** ". وابن طفيل ت ٥٨٠هـ كانت له طريقته المميزة في استخدام **السؤال الفلسفي الرمزي** ليتدرج بين مراتب المعرفة ومصادرها وصولا إلى المعرفة اليقينية.

- ومن العصر الحديث كان فرنسيس بيكون (ت: ١٦٢٦م) ورينيه ديكارت (ت: ١٦٥٠م) وهما رائدان من رواد العصر الحديث، يشتركان في أن طريقتهما إلى المعرفة كانت عن طريق **سؤال المنهج** باستخدام التحليل والتركيب أو الشك المطلق على تفصيل سيأتي ذكره.

منهج البحث والدراسة:

اتبعت منهجاً يجمع بين التحليل حيث ذكرت أراء النماذج التي اختيرت للبحث ومنهجها، والاستقراء في تتبع أقوال العلماء والفلاسفة في السؤال وكيفية استخدامهم له واستخلاص منهجهم العام، والمنهج التاريخي فيما يتعلق بشخصيات البحث المختارة والتسلسل التاريخي للفكر الإنساني، والمنهج الاستنباطي في الانتقال من الكليات إلى الجزئيات في تحليل الأقوال الواردة وتوجيهها وذلك حسب ما يقتضيه كل مبحث من مباحث الدراسة.

خطة البحث والدراسة:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إجمالاً إلى: مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع والمصادر وفهرس للمحتويات وهي – تفصيلاً – كالتالي:

المقدمة وفيها:

- مشكلة البحث
- أسباب اختيار موضوع البحث
- أهداف البحث
- حـــــدود الدراسة أسباب اختيار نماذج الدراسة من الفلاسفة.
- منهج البحث والدراسة
- خطة البحث والدراسة

المبحث الأول: بين يدي مصطلحات البحث والكلمات المفتاحية وفيه:

المطلب الأول: السؤال في اللغة والاصطلاح وفيه:

- السؤال في اللغة.
- السؤال في الاصطلاح اللغوي.
- السؤال في الاصطلاح الفلسفي.

- أنواع الأسئلة
- السؤال العلمي والسؤال الفلسفي.

المطلب الثاني: السؤال في القران الكريم والسنة النبوية وفيه:

- السؤال في القران الكريم
- السؤال في السنة النبوية
- أجوبة القران الكريم وعلاقتها بالسؤال.
- **المطلب الثالث: نظـــــرية المعرفة.**
- السؤال وإمكان المعرفة وفيه:
- الإمكان في اللغة والاصطلاح.
- إمكان المعرفة بين المنكرين والمثبتين.
- علاقة السؤال الفلسفي بالمعرفة.
- علاقة السؤال الفلسفي بالجواب.

المبحث الثاني: السؤال الفلسفي في العصر اليوناني.

المبحث الثالث: السؤال الفلسفي في العصر الوسيط (المسيحي – الإسلامي)

المبحث الرابع: السؤال الفلسفي في عصر النهضة والعصر الحديث.

الخاتمـــة

وبعـــــد:

فإني أساله ﷻ الإتقان والإخلاص في كل شيءٍ، وأن يجعل أمري كله إليه، وأن يرزق عملي هذا النفع والقبول فإنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ليوم الدين.

المبحث الأول

بين يدي مصطلحات البحث والكلمات المفتاحية

تمهـــــــيد:

للسؤال أهمية كبيرة في لغة العرب اهتم بدراسته اللغويون والبلاغيون والأدباء؛ واستخدمه الفقهاء والمحدثون، والفلاسفة والمتكلمون؛ إذ هو من أساليب الكلام بين الناس، ولا يخلو حديث الناس من استعمال السؤال بأساليبه المتنوعة، وفي قراءة سريعة لما ذكره العلماء عن السؤال نجد أن معانيه تدور حول استدعاء المعرفة أو ما يؤدي إليها، أو استدعاء المال وطلبه أو ما يؤدي إليه.

المطلب الأول: السؤال في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: قال الخليل(ت:١٧٤هـ) في العين في مادة [سأل]: "سَأَلَ يَسأَل سؤالا ومسألة. والعرب قاطبة تحذفُ همزةَ سل، فإذا وصلت بفاء أو واو همزت، كقولك: فاسأل، واسأل وجَمعُ المَسأَلة: مسائِل، فإذا حذفوا الهمزة، قالوا: مسلة، والفقير يسمى: سائلاً [١]

وقال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "السؤلُ: ما يسأله الإنسان. وقرئ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ [٢] ﴾ بالهمز وبغير الهمز ‘وَسَأَلْتُهُ الشيءَ وسَأَلْتُهُ عن الشيء سُؤَالاً ومَسألةً. وقوله ﷻ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [٣] أي: عن

---

[١] – كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي باب السين واللام (جـ٧ صـ٣٠٢) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال

[٢] - سورة طه: ٣٦

[٣] – سورة المعارج: ١

عذابٍ.، يقال خرجنا نسأل عن فلانٍ وبفلانٍ. وقد تخفَّف همزته فيقال: سالَ يَسْالُ"[١] .

وقال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) في المفردات:"السُّؤَالُ: استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد، أو بردّ. فإن قيل: كيف يصحّ أن يقال السّؤال يكون للمعرفة، ومعلوم أنّ الله تعالى: يَسْأَلُ عباده نحو: وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ قيل: إنّ ذلك سُؤَالٌ لتعريف القوم، وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علّام الغيوب، فلا يخرج عن كونه سؤالا عن المعرفة. والسُّؤَالُ للمعرفة يكون تارة للاستعلام كما في قوله ﷻ:﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ﴾ [٢] وقوله:﴿ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾[٣]وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ[٤]﴾ وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى[٥]﴾ وقوله ﴿ﷻسَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [٦]وتارة للتّبكيت، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[٧]

---

(١) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ج٥ ص١٧٢٣) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين- بيروت/ ط٤ لسنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(٢) - الإسراء ٨٥

(٣) - الكهف: ٨٣

(٤) - الأنفال: ١

(٥) - البقرة: ١٨٦

(٦) - المعارج: ١

(٧) - التكوير: ٨، وانظر: الغريب في مفردات القران الكريم للراغب الأصبهاني ص٤٣٦، ٤٣٧/ تحقيق: صفوان عدنان الداوودي/دار القلم، الدار الشامية- دمشق- بيروت/ط١ لسنة ١٤١٢هـ

- **السؤال في الاصطلاح:**

لا يختلف السؤال في استخدامه الاصطلاحي عن معناه اللغوي؛ إذ يطلق السؤال ويراد به اصطلاحاً طلب المال أو طلب المعرفة بحسب الحال والسياق، أو ما يؤدي إليهما، فاستدعاء المعرفة وسؤال المعرفة تارة للاستعلام، وتارة للتبكيت، وتارة أخرى لتعريف المسئول وتنبيهه [١]

وكل تلك المعاني وردت في النهج القرآني واستخدمها البلاغيون والأدباء، ومدار البحث هنا حول السؤال بمعنى طلب واستدعاء المعرفة أو ما يؤدي اليها: أي الكلام من السائل والذي يطلب له إجابة.

- **المفهوم الفلسفي للسؤال:**

أما السؤال في الاصطلاح الفلسفي فهو ما يطلق علية بالفرنسية ((Question)وفي الانجليزية Question)وفي اللاتينية (Quaetion) يعني ما يسأل، وهو استدعاء المعرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة[٢] وهو: التفكير في أسئلة افتراضية يمكن طرحها حول قضايا معينة بغرض تحصيل المعرفة أو الاستزادة بجمع معلومات لازمة حول العالم والحياة [٣].

وأسئلة الفلسفة ثلاثة أنواع:

---

(١) – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ت٨١٧هـ جـ٣ ص١٦٤ تحقيق: محمد علي النجار/ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي–القاهرة ١٤٠٦هـ –١٩٩٦م

(٢) –المعجم الفلسفي د: جميل صليبا (ج١ ص ٦٧٤، ٦٧٥) دار الكتاب اللبناني بيروت – ١٩٨٢م

(٣) –انظر: فقه الفلسفة د. طه عبد الرحمن (ج١ ص١١، ١٢) المركز الثقافي العربي، ط ١ ١٩٩٥م

- **السؤال عن الحقيقة ما هي؟** وهو سؤال مثار في مجال المعرفة والأخلاق والقيم والنظرة الكلية للعالم.
- **السؤال عن ماهية كل الأشياء** وفيه يسأل الفيلسوف عن ماهية المادة كما يسأل عن العلة الأولى
- **السؤال عن المعنى أي:** معنى الأشياء ومعنى الحياة[١]

السؤال العلمي والسؤال الفلسفي:

هناك فرق بين السؤال العلمي الذي يحاول تفسير ظاهرة جزئية محددة وبين السؤال الفلسفي الذي يتساءل عما وراء هذه الظواهر محاولا إدراك أسبابها والوصول إلى العلة الأولى؛ فالتساؤل الفلسفي ذو طبيعة مجردة تنأى عن الماديات وترتفع عن المحسوسات[٢]

المطلب الثاني: السؤال في القران الكريم والسنة النبوية:

ففي القران الكريم: نال السؤال حظاً كبيراً من الطرح والاستخدام لأغراضٍ عدة، وفي الآيات ما يقرر أهمية السؤال كونه منهج رئيس للمعرفة وتتبع الحقيقة والوصول إلى الحق بما منَّ الله به على الانسان من ملكات ومواهب وسخر له الكون حوله ليصل إلى إجابات شافية ووافية لأسئلة حيرت عقله وذهبت باطمئنان قلبه.

---

(١) ــ انظر: تمهيد للفلسفة / د: محمود حمدي زقزوق ص ٢٥ / دار المعارف – مصر / ط٥ لسنة ١٩٩٤م

(٢) – التفكير الفلسفي (المبادئ– المهارات وتطبيقاتها) د: مصطفى النشار ص ١٦ وما بعدها/ الدار المصرية اللبنانية مصر/ط١ ٢٠١٣م

فكان السؤال أسلوباً من أساليب الدعوة الى الإسلام، وإثبات النبوة والمعجزات، وبيان كذب دمن أنكر ، فيقول الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ﴾ [1]ففي الآية الكريمة دعوة للتفكر والتأمل في جنبات الكون بسؤالهم، واثبات لكذبهم وادعائهم الجهل ثم جاء في أكثر المواضع للتبكيت مثل قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، و جاء للتهويل في مثل قولهﷻ:﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [3] .وجاء للتحذير في قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[4] وللتذكير كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ [5]﴾،

ثم حكى القرآن الكريم بصيغة "يسألونك " أسئلة وجهت للنبيﷺ والاجابة عليها مما يرسخ قيمة السؤال في المجتمع المسلم والرجوع لأهل الخبرة والتخصص ممن يؤخذ منهم الأجوبة الواثقة القادرة على إزالة ما التبس على الأفهام، بغرض بناء مجتمع المعرفة ومنه قول الله ﷻ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ [6]﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ [7]﴾، وقوله تعالى﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [8] ، وقوله تعالى:﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ

(١) - سورة العنكبوت: ٦١
(٢) – سورة المائدة: ١١٦
(٣) – سورة الحاقة: ٣
(٤) – سورة المرسلات :١٦
(٥) – سورة يوسف: ٨٩
(٦) – سورة البقرة: ٢٢٠
(٧) – سورة البقرة: ١٨٩
(٨) – سورة البقرة: ٢١٥

فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [2] ، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾ [3] فكان السؤال في الأمثلة المذكورة أداة جيدة للتعلم وتحصيل المعرفة فجاءت الأسئلة بسيطة موجزة واضحة الصياغة وجاءت الإجابات كذلك واضحة مفهمة مشوقة للسامعين، وربما جاءت أعم من السؤال لمزيد من المعرفة المتعلقة بالأمر نفسه: لأن العقل البشري غالبا ما يتبع السؤال بسؤال آخر فمجيء الإجابة أعم من السؤال قد تفي بالإجابة على السؤال أو الأسئلة الأخرى وذلك لمن كانت لهم فطر سوية وعقل سليم هدفه المعرفة لا مجرد التشكيك .

وذكر القران أمثلة واضحة لأسئلة كبرى حيرت عقل الانسان منها: السؤال عن الخالق وعن الروح والبعث قال ﷻ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ [5]

وذكر حكاية عن إبراهيم عليه السلام وسؤاله عن كيفية إحياء الموتى ليطمئن قلبه وأجابة الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ

(١) - سورة طه: ١٠٥
(٢) - سورة البقرة: ٢١٩
(٣) - سورة البقرة: ٢٢٢
(٤) - سورة الإسراء: ٨٥
(٥) - سورة البقرة: ١٨٥، ١٨٦

تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1]

ومن القصص الوارد في القران الكريم والتي كان من مقاصده طلب المعرفة باستخدام مهارة طرح الأسئلة: قصة موسى عليه السلام والخضر؛ إذ تشير قصة موسى والخضر إلى أن السؤال هو الأداة الأولى من أدوات المعرفة وليس الحفظ أو التلقين كما يفعل البعض، وللسؤال شروط وأحكام وآداب كما أشارت إلى ذلك الآيات ومنها الصبر والتريث قبل طرح مزيد من الأسئلة ولا يكون القصد مجرد الحصول على إجابة لسؤال ربما لا يقتنع بها العقل ويطرح مزيداً من الأسئلة [2]

نستخلص من هذا: أن للسؤال أهمية كبيرة في القرآن الكريم، إذ يعتبر السؤال من أهم الأدوات المعرفية إذا تعلمه الإنسان وأتقنه، وعرف كيف يصوغه، ولمن يوجهه أو يثيره، ليكسب بذلك السؤال معرفة صادرة من أهلها لمن يستحقها في الوقت المناسب لصدورها، وآنذاك يكون السؤال عبارة عن إثارة لقضية فكرية أو شرعية يحتاج الناس إثارتها في وقتها لسد حاجة، لها موقعها في حياة المجتمع، ولذلك بين الإسلام حقيقة السؤال وكيفية صياغته وآدابه وشروطه لتحقيق ذلك الغرض المعرفي.

السؤال في السنة الشريفة:

كان منهج السؤال من المناهج التعليمية التي استخدمها النبي ﷺ ليوضح به ما جاء في المنهج القرآني مجملاً ويبين كثيراً من مسائل العقيدة ويرسخ

---

[1]-سورة البقرة: ٢٦٠

[2]-انظر قصة موسى والخضر سورة الكهف: ٦١ – ٨٢

مفاهيمها لدى العقول، ولم ينكر السؤال على من سأله من المسلمين والأحاديث في ذلك كثيرة فمن الأحاديث التي جاءت لتعليم المسلمين مفاهيم دينية في أمورٍ عقدية بصيغة السؤال والجواب: ما رواه عنه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يوم بارزًا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر" قَالَ يَا رسول اللَّهِ! ما الإسلام؟ قال" الإسلام أن تعبد اللَّهَ ولا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة المكتوبة. وتؤدي الزكاة المفروضة. وَتَصُومَ رمضانَ". قَالَ: يا رسول اللَّهِ! مَا الإحسان؟ قال "أن تعبد الله كأنك تراه. فإنك إِنْ لَا تَرَاهُ فإنه يراك". قال: يا رسول اللَّهِ! متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السائل. وَلَكِنْ سَأُحدِّثُكَ عن أشرا طها إذا ولدت الأَمة رَبَّهَا فذاك من أشراطها. وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس النَّاسِ فذاك مِنْ أَشراطها. وَإِذَا تَطاولَ رعاء البهمِ فِي البنيان فذاك من أشراطها. في خمس لا يعلمهن إِلَا اللَّه" ثم تلى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ قال ثم أدبر الرجل. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"رُدُّوا عَلَيَّ الرجل" فَأَخَذُوا لِيَرُدّوه فَلَمْ يَرَوْا شيئا. فقال رسول اللَّهِ ﷺ"هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم))[1].

---

(١)- أخرجه البخاري في صحيحه (ج١ ص٢٧،٢٨ رقم ٥٠)، (ج٤ ص١٧٩٣ رقم ٤٤٩٩) تحقيق: مصطفى ديب البغا/ دار ابن كثير – دمشق / ط٥ لسنة١٤١٤هـ – ١٩٩٣م. وأخرجه مسلم في صحيحه (ج١ ص ٣٦، ٣٧، ٣٨ رقم ٨، ٩، ١٠) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ طبعة عيسى الحلبي وتصوير دار إحياء التراث العربي– بيروت/ ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م

وفي الحديث جملة من المعاني والأحكام، قال عنه ابن دقيق العيد(ت:٧٠٢هـ): «هذا حديث عظيم قد اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه لما تضمنه من جمعه علم السنة فهو كالأم للسنة كما سميت الفاتحة: أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن» [١]. فللعلم وسائلُ يُدرَكُ بها، من أهمِّها السؤال؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: "زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت "[٢] والصحابة ﷺ أدركوا العلم بوسائل منها: السؤال؛ فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمَ أُنزلت، وأين أنزلت، وإن ربي وَهَبَ لي قلبًا عقولًا ولسانًا سؤولًا""[٣] وسُئِل ابن عباس ﷺ: كيف أصبت هذا العلم؟ قال: "بلسان سؤول وقلب عقول"[٤]

والصحابة ﷺ كانت همَّتُهم ومطالبهم عالية، فكانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الأعمال التي تُدخِلهم الجنة، وتُباعِدهم من النار كانوا يسألون رسول الله ﷺ أسئلةً تدُلُّ على عمق حرصهم، وشدَّة تعلُّق نفوسهم بالآخرة، فإن من يسأل عن

---

(١) _ شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لابن دقيق العيد ت: ٧٠٢هـ ص٢٩/ط٦ لسنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م/ مؤسسة الريان – بيروت

(٢) - جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف ابن عبد البر (ج١ ص٣٧٤ رقم ٥٢٢) تحقيق: أبو الأشبال الزهيري/دار ابن الجوزي – السعودية/ ط١ لسنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٣) - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (ج١ ص٦٧، ٦٨) مطبعة السعادة- مصر/١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.

(٤) - فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (ج٢ ص٩٧٠ رقم١٩٠٣) تحقيق: د. وصي الله محمد عباس/ مؤسسة الرسالة – بيروت / ط١ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

شيءٍ، فإنما يسأل عما يهتمُّ به؛ قال عبد الله بن عباس ﷺ: "ما رأيتُ قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ ...ما كانوا يسألون إلَّا عمَّا ينفعهم"[١]

وعن أبي برزة ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله علمني شيئًا أنتفع به قال: ((اعزل الأذى عن طريق المسلمين))[٢]

عن ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((من حُوسِب عُذِّب)) قالت: أو ليس يقول الله تعالى :﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: ((ذلك العرض ولكن مَنْ نُوقِش الحساب عُذِّب))[٣]

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظَمُ عند الله؟ قال: ((أن تجعل لله نِدًّا وهو خلَقَكَ))، قلت: إن ذلك لعظيمٌ، ثمَّ أيٌّ؟ قال: ((أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك))، قلت: ثم أي؟ قال: ((أن تُزاني حليلة جارِكَ))[٤] وعن عبد الله بن عمرو: أن رجلا سأل النبيﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف«[٥]

---

(١) - مسند الدارمي لأبي محمد عبد الله الدارمي (ج١ ص٢٤٤ رقم ١٢٧) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني/ط١ ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م/ دار المغني للنشر- المملكة العربية السعودية.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه (ج٤ ص٢٠١٦ رقم ٢٦١٨)

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه (ج٥ ص ٢٣٩٤ رقم٦١٧١) وأخرجه مسلم في صحيحه (ج٤ ص٢٢٠٤ رقم ٢٨٧٦)

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه (ج٥ ص٢٢٣٦ رقم٥٦٥٥) (ج٦ ص ٢٧٣٤ رقم٧٠٨٢) وأخرجه مسلم في صحيحه (ج١ ص٩٠، ٩١ رقم٨٦)

(٥) - أخرجه البخاري (ج١ ص١٣ رقم ١٢)، (ج١ ص١٩ رقم ٢٨)، (ج٥ ص٢٣٠٢ رقم ٥٨٨٢) وأخرجه مسلم في صحيحة (ج١ص٦٥ رقم ٣٩)

وعن أنس ﷺ قال: بينا رسول اللَّهِ ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول اللَّه! قال "أنزلت على آنفًا سورة"، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ " ثم قال "أتدرون ما الكوثر؟ " فقلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال "فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ. عليه خير كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدكَ[1]" وعن أبي سعيدٍ الخدرِي ﷺ أن ناسًا في زمنِ رسول اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يا رسول اللَّهِ! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"نَعَمْ". قَالَ "هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَاب؟ " قالوا: لا يا رسول اللَّه! قال "ما تضارون في رؤية اللَّه تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد، كان يعبد غير اللَّه سبحانه من الأصنام والأنصاب، إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّهَ[2].

أجوبة القران الكريم وعلاقتها بالسؤال:

الإسلام دين سماوي " الله " فيه هو الخالق الصانع الذي تستند إليه كل الموجودات في وجودها ، خلق الإنسان ووهبه العقل ووهبه الحواس المرتبطة

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه (ج١ ص٣٠٠ رقم ٤٠٠)
(٢) – أخرجه البخاري (ج ٤ ص ١٦٧١ رقم ٤٣٠٥) (ج٦ ص ٢٧٠٦ رقم ٧٠٠١) وأخرجه مسلم في صحيحة (ج١ ص١٦٧ رقم ١٨٣)

بـه تمـده بالمعلومـات ، وحثـه علـى اسـتخدام العقـل والحـواس بالتـدبر والتأمـل وتقليب البصر في الأفاق وفي الأنفس فقال ﷻ : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (١) والقران مليءُ بالآيات التي تخاطب العقول بالأدلة العقلية والمنطقية فمن الأجوبة الإقناعية الواضحة قوله ﷻ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (٢) .

فـالجواب القرآنـي دائمـا جواب واضـح شـامل دقيق مناسب للعقول، وأكثر تقديرا لطبيعة الحال والمقام ففي جواب سؤال النـاس تحـريم الخمـر والميسـر يقول الله ﷻ:﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ (٣) وقال:﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ (٤)

وقال:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ (٥)

وكل إجابة تختلف باختلاف حال السائل ، فمن كان مؤمناً بالله منكراً للنبوة تختلف إجابته عن من كان لا يؤمن بالله ومن لا يؤمن بالبعث مثلا وهكذا، فلم

---

(١) – سورة يونس: ١٠١
(٢) – سورة الإسراء: ٨٥
(٣) – سورة البقرة: ٢١٩
(٤) – سورة الطور: ٣٥
(٥) – سورة الأنعام: ٩١

يدع القران الكريم العقول هكذا في حيرتها بل قدم لها الإجابات الواضحة المباشرة عقب كل سؤال طرح ، وفي الوقت نفسه وضع للعقل حدوداً فحث الإسلام على عدم السير مع العقل واتباع خطوات الشيطان في الاستغراق والاستمرار بطرح الأسئلة التي لا تنتهي إلى إجابات تقنع العقل البشري القاصر وتودي به إلى الشك المطلق فأمره بصرف نظره إلى منظورٍ آخر أو مدركٍ آخر فعليه صرف نظره وفكره إلى التفكر في نعم الله التي لا تحصى بدل التفكير دون جدوى في ذات الله التي لا تدرك حتى الممات ، فالتكوين العقلي للإنسان والله أعلم بما خلق – له حد لا يمكن تجاوزه فإن عدم إدراك الإجابة لا يعني عدم وجودها إطلاقاً ، بل هي موجودة وعقل الإنسان غير مدرك لها.

- **المطلب الثالث: نظرية المعرفة:**

مبحث المعرفة من المباحث المهمة التي ينبغي الاهتمام بها؛ إذ يعتبر الأساس للمذاهب الفلسفية، وكل فيلسوف لابد له من أصلٍ معرفي يرتكز عليه[١]

يدور البحث في نظرية المعرفة حول منابع التصورات والتصديقات في الذهن البشري، وقيمة هذه المعارف ومدى مطابقتها للواقع وكشفها للحقيقة، وطبيعة هذه المعرفة وحقيقتها، وحدودها وهل بإمكانها تجاوز دائرة ما هو محسوس والتعرف على ما وراء الطبيعة[٢] .

- **المعرفة وإمكانها:**
- **الإمكان لغة:**

---

(١) – انظر: مدخل إلى نظرية المعرفة للكرساوي ص١٠

(٢) – دروس في الفلسفة الإسلامية لعبد الجبار الرفاعي ص١٦ / مؤسسة الهدى للنشر / ط١ لسنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

مصدر أمكن إمكاناً، كما نقول: أكرم إكراماً، وهو أيضاً مصدر أمكن الشيء من ذاته، نقول: أمكن الأمر لفلان أي: سهل عليه أو تيسر له فعله، وقدر عليه[١]

- **الإمكان في الاصطلاح الفلسفي:**

الإمكان: كون الماهية بحيث يتساوى فيها نسبة الوجود والعدم ... والممكن مالا وجود له ولا عدم من ذاته، فإن وجد صار حادثاً وجد لموجد[٢]

- **إمكان المعرفة بين المؤيدين والمعارضين:**

كل سؤال يفترض معرفة سابقة بأمر ما عن الشيء المسئول عنه؛ إذ لو كان الشيء مجهولاً تماماً لما لاحظناه أصلاً، ولن ندري أننا نجهله، فعملية السؤال تتشكل نتيجة لمعرفة سابقة فعندما نسأل سؤالاً مثل: هل الكون محدودٌ أو لا حد له؟ فنحن هنا ننطلق من معرفتنا بما نسميه الكون وهو الفضاء الممتد الواسع الذي يحوي كل الموجودات، ولا يمكننا أن نرى حداً له، والمعرفة السابقة هذه مبدأ مهم من مبادئ السؤال[٣]

---

(١) - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ج٣٦ ص١٩١) تحقسق: جماعة من المتخصصين/وزارة الإرشاد- الكويت، المجلس الوطني للثقافة- الكويت/ (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ج٦ ص٢٢٠٥) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين - بيروت ط٤ لسنة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م

(٢) - انظر: المعجم الفلسفي ص٢٢، ٢٣ / تصدير إبراهيم مدكور/ مجمع اللغة العربية- القاهرة

(٣) - انظر: السؤال عن الإله وعن الكون وعن الإنسان ص٥١، ٥٢، ٣٥ لمحمد ناصر/ مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية - العراق / ط١ لسنة ٢٠٢٠م

ورغم بداهة الأمر إلا إنهم اختلفوا حول إمكان المعرفة وانقسموا إلى فريقين؛ **فريق أول** يقول: بانتفاء القدرة على الوصول إلى أي معارف يقينية وهم الشكاك من السفسطائيين ومن تابعهم؛ إذ يتخذون من الشك المطلق منهجاً فقالوا باستحالة المعرفة لانعدام الثقة في أدوات الوصول إليها من الحس والعقل. وتابعهم على ذلك من الفرق في تاريخ الفكر الإسلامي:

العنـــدية: الذين قالو بنسبية الحقيقة، وأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات، ويرد أصل هذا المذهب إلى بروتاغوراس(ت: ٤٢٠ق.م)، **والعناديـــة:** الذين يعاندون في إنكار الحقائق ويدعون أنهم جازمون بأن لا موجود أصلاً وإذا وجد فلا يمكن إدراكه، ويرد هذا المذهب إلى جورجياس (ت:٣٧٥ق.م)، **واللاأدريـــة:** وهم الذين يتوقفون في الحكم فلا ينفون ولا يثبتون ولكنهم طعنوا كذلك في الحواس والعقل [١]

وأما الفريق الثاني: هم الاعتقاديون: فقد أقروا بإمكان الوصول إلى المعارف لكنهم اختلفوا بعد الاتفاق حول حدود تلك المعرفة وطرق الوصول إليها فمنهم من أثبت حقائق مطلقة تحصل للإنسان بالإدراك الحسي وحده أو بالعقل وحده أو بالحس والعقل معاً أو بالذوق والإشراق[٢]

أما **الموقف الصحيح من مسألة إمكان المعرفة** فهو القائل بأن المعرفة ممكنة وأن حقائق الأشياء ثابته وإنكار هذا الأمر يعارض الفطرة السلمية

---

(١) – انظر: تمهيد للفلسفة / د: محمود حمدي زقزوق ص ١٢٠: ١٣١، وانظر أيضاً: المدخل إلى نظرية المعرفة/ أحمد الكرساوي ص ٣٧: ٥٩ بتصرف /تكوين للدراسات والبحوث، والمدخل إلى نظرية المعرفة / د: علي عبد المعطي محمد ص ٤٦١، ٤٦٢ / دار المعرفة الجامعية – مصر / ٢٠٠٠م

(٢) – المصادر السابقة

ويعارض القران الكريم الذي أثبت إمكانيه الوصول إلى المعرفة وهيء للإنسان كل أسباب الوصول إليها وسخر له الحواس ووهبه العقل ووضع في نفسه وفي الكون الآيات البينات وأرسل له الرسل وأنزل معهم الكتب وإلا فما الفائدة من ذلك كله لو انتفت المعرفة وانعدمت سبل أسباب الوصول إليها.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (١)

- **علاقة السؤال الفلسفي بالمعرفة:**

السؤال عن الحقيقة يفترض بداهة إمكانية تحصيلها ، ويعني السؤال عن وسائل المعرفة التي يمكن أن نستند إليها في سعينا إلى المعرفة إن كانت حسية أو عقلية أو ربما تكون تجربة إنسانية؛ ولذلك انشغل أفلاطون(ت:٣٤٧ق.م) بسؤال المعرفة ، ورأى أن عالم المثل(عالم الحقائق الثابتة) لا يمكن بلوغه إلا بالعقل ، أما المعرفة التي تستند إلى الحواس ليست إلا معرفة ظنية خادعة ، واشتغل ديكارت(ت:١٦٥٠م) بسؤال المعرفة في رحلة بحثه عن اليقين فاستند إلى قواعد العقل رغم اعتماده على الشك أولاً، وظل السؤال المعرفي مهيمناً على من جاء بعده كهيوم(ت:١٧٧٦م) بنزعته الشكية ، وكانط(ت: ١٨٠٤م) بنزعته النقدية؛ فانشغلوا بالبحث المعرفي الميتافيزيقي من ناحية إمكانه وشروطه قبل الشروع في معرفة أي شيء على الإطلاق، وكان السؤال المعرفي هو المسيطر على فلسفة الوضعيين المناطقة والذي أدى موقفهم المعرفي إلى قطيعة مع الميتافيزيقا باعتبارها عندهم معرفة غير ممكنة(٢)

---

(١) – سورة النحل: ٧٨

(٢) – انظر: البحث الفلسفي من سقراط إلى سارتر/ تأليف: ت.ز. لافين ص٨: ١٠/ ترجمة: أشرف محمد كيلاني/المركز القومي للترجمة – القاهرة/ ط١ ٢٠١٢م

علاقة السؤال الفلسفي بالجواب:

الأسئلة الفلسفية أسئلة قابلة للجدل والمناقشة، وتتطلب مجهوداً ذهنياً وتفكيراً معقداً وتستلزم مهارات وأدوات للحصول على إجابات، والأسئلة حالة خاصة من الدهشة والشك والجهل، فلا يحدث الجمود الفكري بسبب عدم توفر الإجابات غالباً وإنما بسبب توقف الأسئلة؛ إذ تنطوي كل مشكلة فلسفية على الحيرة والغموض الذي يؤرق العقل ويفزعه ويوجهه نحو طرح الأسئلة والبحث عن جزء المعرفة المفقود عنده.

ويعني هذا: أنه لا يلزم من وجود السؤال وجود إجابات حاسمة بالضرورة، فالأسئلة وسيلة وطريقة لمحاولة فهم المشكلة ربما تحصل معها إجابات وربما لا يحدث فالأمر في حيز الإمكان.

فالعديد من الأسئلة الفلسفية يسهل طرحها ويسهل فهمها، لكن ربما صعب حلها ومعالجتها بصور مرضية مقنعة لكل العقول، لكن مجرد التفكير بها يضمن ويحسن القدرة الإنتاجية للعقل، فما اجتمع الفلاسفة في أي عصر من العصور على جواب واحد لنفس السؤال، فربما تتشابه الأسئلة وتختلف الإجابات باختلاف المجال الديني والمجال الفلسفي؛ فالأسئلة التي شغلت إنسان القرن السابع هي نفسها التي شغلت إنسان القرن العشرين: ما الوجود؟ وما أصله؟ ما العقل وما النفس وما الروح؟ لكن تعددت واختلفت الإجابات لاختلاف المصادر والمناهج التي أتت، وربما يفوق عدد الإجابات عدد الأسئلة، فالفلسفة لا تعترف بالسؤال الواحد ولا بالجواب الواحد فجوهر الفلسفة: استمرار السؤال.

المبحث الثاني
السؤال الفلسفي في العصر اليوناني

تمهيـــد:

تعد الفلسفة من أقدم العلوم التي انشغل بها الإنسان، وحاول من خلالها تفسير الظواهر الكونية المحيطة به وتلك كانت البواكير الأولى للفلسفة في الفكر الإنساني عموماً والفكر اليوناني بشكلٍ خاص.

فمن العلامات الفارقة التي تميز الفلسفة عن أي علم: أنها تتساءل عن كل شيء ولا تدعي صحة أي شيء، وتعرض الادعاءات أو الآراء التي يمليها علينا تفكيرنا اليومي عن العالم وعن أنفسنا، وقيمنا، ومعتقداتنا فتناقشها؛ فدراسة الفلسفة ميزة تمكن الانسان من الحصول على المعارف، والحصول على إجابات ومعالجة أهم الأسئلة الحيوية التي تدور في العقل [١]

فبمجرد وعي الانسان بمشكلة ما تساعده أدوات التفلسف ومهارات طرح الأسئلة على تحديد صيغة مناسبة لسؤالٍ فلسفي واضح ويسعى محاولاً البحث عن إجابات مرضية.

وتعد الفلسفة اليونانية القديمة مصدر الإرث الفلسفي عبر تاريخ الفكر الفلسفي بما أثارته من حركات ومدارس فلسفية متنوعة عبر عصور الفلسفة المختلفة.

---

(١)- الفلسفة موضوعات مفتاحية جوليان باجيني ص٨، ٩، ترجمة: أديب يوسف شيش، ط١ ٢٠١٠م، دار التكوين – سوريا

فالفلسفة كانت تفهم قديماً –على العموم – بأنها البحث عن الحقيقة فيما يتعلق بطبيعة الكون والإنسان ،وهو ما كان الفلاسفة القدماء يعتقدون أنه قد يفضي إلى إحراز معرفة واثقة عن الحقيقة المبحوث عنها[١] .

- **عصر ما قبل سقراط.**

أما عن بداية الفلسفة فقد ظهرت في بلاد عديدة (شرقية وغربية) فنشأت فلسفات عدة من الصين الى الهند؛ إلا أن الفلسفة الإغريقية كانت هي الأقدم والأكثر شهرة نظراً لتناولها عدة موضوعات مهمة ومحاولتها الإجابة عن الأسئلة الفلسفية الكبرى حول الحياة والعالم، وتناولها موضوعات أخرى في الأخلاق والميتافيزيقا والمنطق وعلم الوجود[٢]

تمثلت **البواكير الأولى** للتفكير الفلسفي بحدود عام ٦٠٠ ق.م لدى الفلاسفة الأيونيين، وكان الدافع الأساسي للتفلسف هو الفضول والتعجب والتطلع إلى معرفة طبيعة الأشياء، والرغبة بالمعرفة لذاتها؛ إذ كان السؤال الأيوني الرئيس:" إنني لأتعجب لما تكون الأشياء على ما هي عليه، ولماذا تحدث كما تحدث ولم تحدث على نحوٍ أخر؟ ما أعجب هذا العالم!! [٣].

والبداية الثانية كانت للبحث عن الحقيقة لكن ليس لذات الحقيقة ولكن رغبة قوية في التشبه بالإله إلى أقصى حدٍ ممكن بغرض الإفلات من الحياة المادية الفانية، والعودة إلى الوجود الإلهي الذي كان يعتقد أن النفس قد هبطت

---

(١) – مدخل إلى الفلسفة القديمة ص١٩/أ. هـ أرمسترونج، ترجمة: سعيد الغانمي ط١ ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م /دار كلمة والمركز الثقافي العربي – الإمارات العربية المتحدة.

(٢)– تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة.أ.د عبد الله شمت المجيدل ص٣٣ ،ط١ ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م ،دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع

(٣) – المصدر السابق ص ٢٠

منه، فكانت صيغة السؤال الأساسي في الأذهان هي: أنى لي أن أنقذ نفسي من جسد هذا الموت، وأصير إلهاً مرة أخرى [١]

وبعد انتهاء حقبة البدايات في الفكر الإغريقي التي لم تقدم أي حلول أو إجابات تؤدي إلى معرفة واضحة التفاصيل تقنع العقل الذي هو آلة الفهم والفكر؛ إذ جاءت الإجابات أكثر غموضاً فكانت المشكلات كلها تدور في دائرة المادية والأسطورة الإغريقية التي سيطرت على العقول آنذاك لتبدأ حقبة جديدة أكثر ثراءً في الفكر الإغريقي، إذ كانت البيئة خصبة لفوضى المعرفة فظهر الفكر السفسطائي والسفسطائيون:

- **السفسطائيون:**

كان السفسطائيون مجادلين مغالطين، يؤيدون القول الواحد ونقيضه، يرددون الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف الفلسفية لا لغاية معرفية ولا لبحث عن حقيقة وإنما لتشتيت الأذهان والتشكيك في الثوابت، لم يعطوا للعقل أية قيمة، ولا اهتموا لأمر الفطرة التي تدفع الإنسان لطلب العلم والمعرفة بل لم ينظروا إلى العلم على أنه معرفة الحقيقة بل هو في نظرهم وسيلة تجر منفعة،

وأشهرهم **بروتاغوراس (ت:٤٢٠ق.م) وغورغياس،(ت: ٣٧٥ق.م):** اشتهر عن **بروتاغوراس** مقولة: " لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ، فإن أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم غموض المسألة وقصر الحياة"[٢] ،واشتهر عنه أيضاً مقولة : الإنسان مقياس كل شيء "فقد عارض فكرة الحقيقة المطلقة فالمعرفة عنده أمر نسبي يتعدد بتعدد الأراء

---

(١) – المصدر السابق

(٢) – انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٥٨، ٥٩، ٦٠ بتصرف / مؤسسة هنداوي للنشر / المملكة المتحدة ٢٠١٤م

ووجهات النظر ، والحقيقة فقط ما يظهر للوعي، وأن كل شيء نسبي فما أراه هو الحق وما أراه باطلاً فهو الباطل، ولكل فرد أن يؤمن بما يشاء ولا يمكن لأحد الحكم على تجارب الأخرين[١]

أما غورغياسفقد عرف عنه تفاخره بقدرته على الإجابة عن أي سؤالٍ يلقى عليه، ووضع كتاباً في اللاوجود تتلخص أقواله فيه كما يلي:

- لا يوجد شيء
- إن وجد شي فالإنسان قاصر عن إدراكه.
- إذا فرضنا أن إنساناً أدركه لا يمكن له تبليغه لغيره من الناس[٢]

- **سقـــــراط** (ت: ٣٩٩ق.م)

نأتي إلى سقراط فما من أحدٍ سواه في تاريخ الفلسفة بأسرها قد غير اتجاه الفكر تغييراً كاملاً، ذلك أن فكر سقراط انتشر وأثر بشكل مباشر وغير مباشر في كل الفلسفات اللاحقة لكن كل ما وصل لنا عن سقراط بقايا ما كتبه عنه معاصروه وتلامذته. فلقد ترك لديهم انطباعاً قوياً بحيث كان حجم كتاباتهم عنه كبيراً جداً.

انتهج سقراط منهجاً جديداً في البحث والفلسفة؛ أما البحث عن الحقيقة والتطلع إلى المعرفة فكان له مرحلتان: **الأولى: التهكم والثانية: التوليد**، ففي الأولى كان يتصنع الجهل بتسليم أقوال محدثيه، ثم يبدأ بطرح الأسئلة ويعرض الشكوك شأن من يطلب العلم والاستفادة بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال

---

(١) – معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص١٧٠ / دار الطليعة– بيروت / ط٣ لسنة ٢٠٠٦م

(٢) – المصدر السابق ص٦٤، ٦٥

لازمة منها، ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم في التناقض ويحملهم على الإقرار بالجهل وهو ما يسمى " **التهكم السقراطي** " أي: السؤال مع تصنع الجهل(١)

وكان الغرض من هذا النوع من الأسئلة: تخليص العقول من العلم السفسطائي الزائف وإعدادها لقبول الحق والحقيقة، ثم ينتقل الحوار إلى مرحلة أخرى ثانية، فيساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات المرتبةً ترتيباً منطقياً للوصول إلى الحقيقة التي أقروا أنهم يجهلونها فيصلون إليها وهم لا يشعرون، ويحسبون أنهم استكشفوها بأنفسهم، وهذا هو **التوليد:** أي استخراج الحق من النفس. وكان سقراط يقول في هذا المعنى " إنه يحترف صناعة أمه، وكانت قابلة إلا أنه يولد نفوس الرجال (٢)

أما ما كان يطرحه على نفسه من الأسئلة الفلسفية فكان يرى أن لكل شيء طبيعة وماهية هي حقيقته، يكتشفها العقل وراء العوارض المحسوسة، ويعبر عنها بالحد، وأن غاية العلم إدراك الماهيات، فكان يشتغل بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات إلى إدراك الماهية: يسأل ما الخير؟ وما الشر؟ ما العدالة؟ وما الظلم؟ ما الحكمة وما الجنون؟ ما الشجاعة وما الجبن؟ ما التقوى وما الالحاد؟

فنجد سقراط قد آثر النظر في الإنسان نفسه فلم يميل الى النظر في الطبيعيات والرياضيات، فاهتم بالإنسان نفسه وانحصرت فلسفته في دائرة الأخلاق وهذا معنى قولهم: " إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض أي أنه حول النظر من الفلك الى النظر في بذور الأخلاق والبحث عن ماهية الإنسان(٣)

---

(١) – تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٦٩، جمهورية أفلاطون ص٤٤/ترجمة: فؤاد زكريا/ط٢٠٢٣/ مؤسسة هنداوي– المملكة المتحدة

(٢) – تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٧٠

(٣) - تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٦٩، ٧٠، وانظر أيضا: تطور الفكر الفلسفي من اليونانية إلى المعاصرة لعبد الله المجيدل ص٧٢، ٧٣

كتب ريتشارد عن سقراط: أنه كان مشبعاً بأمانة فكرية ونزاهة أخلاقية يندر أن تجد لها مثيلاً في عصره أو أي عصرٍ آخر، لقد كان يبحث بإصرارٍ عن إجاباتٍ لأسئلة لم تسأل قبلة في نفس الوقت الذي يحاول فيه تقويض الافتراضات والمعتقدات التقليدية، وتحريض التفكير المتأني حول القضايا الأخلاقية، كما أجبر نفسه وأولئك الذين يحاربهم على البحث في فهم أعمق مما يحقق لهم حياة طيبة(١) .

يقول صاحب كتاب مقهى سقراط في مدح طريقة سقراط في معالجة الأسئلة المطروحة:" لا المقصد أن سقراط سأل أسئلة لم يسبق أن سألها أحد قبله، بل الأحرى أن سقراط كرس حياته لمحاولة إجابة الأسئلة بطريقة لم يجربها أحد قبله"(٢).

ترتبط فلسفة سقراط بالأفراد العاديين في الشوارع والمقاهي يلتقي بهم ويسمع منهم ما هو جديد من أسئلة المعرفة مما ينشغلون به، فالمعرفة جوهرها إثارة الأسئلة والجدل، وهدف الأسئلة – كما يرى– أن يكتشف الإنسان حقيقة نفسه أولاً وهي أولى وأولى الحقائق فعلى الإنسان أن يتعلم من هو(٣) ؟

وعليه فإن الطريقة السقراطية في التساؤل تهدف إلى مساعدة الناس ليفهموا أنفسهم وطبيعتهم وطاقتهم الكامنة ، وتساعدهم على إنجاز قرارات

---

(١) – انظر: الآم العقل الغربي (الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم) ريتشارد تارناس ص٥٨/ ترجمة: فاضل جتكر/ط١ لسنة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م / العبيكان – المملكة العربية السعودية

(٢) – انظر: مقهى سقراط (نكهة مختلفة للفلسفة) تأليف: كريستوفر فيلبس ص٣١ / ترجمة: هادي آل شيخ ناصر/ ط١ لسنة ١٤٣٤هـ–٢٠٢١م / دار آثر للنشر والتوزيع– المملكة العربية السعودية.

(٣) – انظر: تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة للمجيدل ص٢٠

حياتية مبنية على دراية جيدة ، لأنهم الآن في وضعٍ يعرفون فيه أنفسهم، وبذلك يستوعبون من هم وماذا يريدون ، وباستطاعة الطريقة السقراطية أيضاً أن تمكن الشخص عميق التفكير من أن يفصح عن فلسفته الخاصة الفريدة في الحياة ، ثم يقوم بتطبيق تلك الفلسفة في مناحي حياته المختلفة، وهذا بدوره يزود الروح المتسائلة بما تحتاج إليه في رحلتها النبيلة في السعي وراء الحكمة وتحصيل المعارف[١] .

- **أفلاطـــــــون (ت: ٣٤٧ق.م)**

أما أفلاطون الفيلسوف الإغريقي الذي حظي بشهرة واسعة بين الفلاسفة القدماء، وكانت أعماله الشرارة الأولى التي أشعلت جميع المسائل والأفكار الفلسفية عبر التاريخ الفلسفي إلى اليوم، وكانت فلسفته الحافز الأول لظهور علوم أخرى كعلم النفس والمنطق والسياسة.

ظهر من البداية تعلق أفلاطون بسقراط كونه أحد تلامذته الذي تتلمذ على محاوراته وأسئلته عن العدل والشجاعة والتقوى ،فجاءت مؤلفات أفلاطون على شكل محاورات أو مناقشات بين شخصين، الشخصية الرئيسة كانت شخصية سقراط في معظم الحوارات، تميزت هذه المحاورات أو الحوارات التي كانت على هيئة أسئلة مباشرة يطرحها سقراط (الشخصية الرئيسة في المحاورات)

وكان السؤال الأهم الذي بنى وأسس عليه مؤلفه الشهير ((الجمهورية)) هو سؤال العدالة. وعلى الرغم من أن الحوارات كانت تنتهي دون التوصل إلى إجابة قاطعة على تلك الأسئلة؛ إلا أن أسلوب الجدل الذي اعتمد عليه في

---

(١) – انظر: مقهى سقراط ص ٢٥

الأسئلة والإجابات يبين الهدف المقصود وهو توليد المعرفة وعدم التسليم واستمرارية الفكر باستمرار طرح الأسئلة[١] .

وترتكز فلسفة أفلاطون بشكلٍ عام على (العقل) فهو القوة القادرة على كشف المفهوم، وله القدرة على خلق الحياة المنسجمة السعيدة، وأن علينا خلق الانسجام بين العقل والعاطفة، وأن الحياة السعيدة هي التي يكون فيها الإنسان سيد نفسه، والتي يحكم العقل فيها إرادته لا كشيءٍ دخيلٍ وإنما كمصدر طبيعيٍ يهدي ويغذي تلك الإرادة[٢] .

فيقوم منهج أفلاطون على الجمع بين العقل والخيال في قالب تحليلي فرضي جدلي، وهي القاعدة التي يرتكز عليها مذهبه الفلسفي كله، فاعتبر منهجه ملخصاً لطريقة سقراط في توليد المعرفة، فكان على أفلاطون حل معضلة المعرفة فقدم فكرته الأصيلة البسيطة التي تمثلت في أن هناك إلى جانب كل شيء متغير شيء آخر لا يأتي عليه تبديل يقوم عليه وحده المعرفة والسلوك، وبذل ربط أفلاطون نظريته في المعرفة بنظريته في الوجود والأخلاق[٣]

فوفقاً لهذا المنهج المسمى ((الديالكتيك) وهو فن طرح الأسئلة والقدرة على تقديم الإجابات، ويبدأ بفرضية (ادعاء)، ومن خلال المناقشة ثم يبدأ باختبار صحة الفرضية في طريقة حوارية ونقاشية فعالة؛ حيث كان يرى أفلاطون أنها الطريقة الأكثر فعالية حيث يمكن فحص عدد غير محدود من المواقف والتفكير فيها من خلال عملية السؤال والجواب الذي أطلق عليه (منهج الديالكتيك)[٤]

---

(١) – انظر: جمهورية أفلاطون ص ٣٥، ٤٤

(٢) – انظر: جمهورية أفلاطون ص ١٥–٢١

(٣) – انظر: تطور الفكر الفلسفي للمجيدل ص ٩٠

(٤) – انظر: موجز تاريخ الفلسفة ص٨ / تأليف: مجموعة من أساتذة السوفيات/ ترجمة د: توفيق سلوم/ط١ لسنة ١٩٨٩م / دار الفارابي بيروت

- **أرسطـــــــــو (ت: ٣٢٢ق.م)**

أحد أشهر فلاسفة اليونان خاصة وفلاسفة العالم عامة، ويرجع تأسيس الفلسفة له كعلمٍ له أصول ومنهج وغاية، كما كان له فضل تأسيس بعض العلوم الأخرى كالمنطق وعلم النفس وعلم الأخلاق والسياسة وعلم الطبيعة [١]وقد شغف أرسطو بمعرفة أسرار الكون مع إدراكه أن الأسباب الصحيحة لإدراكه غير متوفرة، فانشغل بالبحث في وسائل المعرفة الإنسانية، وما يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الوسائل، ولما وجد أن غالبية الناس يعتقدون أن الحواس هي وسيلتهم لتحصيل المعرفة؛ انشغل بالبحث في الحواس وطبيعتها وفي العقل وإمكانياته المعرفية محاولاً وضع قوانين لضبط التفكير العقلي حتى لا يشتط ويبتعد عن المجال المعرفي الصحيح فكان علم المنطق[٢]

يقول أرسطو عن المعرفة:" فهي في نظرنا شيءٌ حسنٌ جليلٌ، ومع ذلك فنحن نؤثر معرفة على أخرى، إما لدقتها، وإما لأنها تبحث عما هو أشرف وأكرم ولهذين السببين كان من الجدير أن نرفع دراسة النفس للمرتبة الأولى ويبدو أن معرفة النفس تعين على معرفة الحقيقة الكاملة "[٣]

وكان من الموضوعات التي شملتها عناية أرسطو فيما يخص المعرفة والإجابة عن التساؤلات التي كانت تعبر بشكل واضح عن مشاكل عصره:

---

(١) – انظر: تطور الفكر الفلسفي للمجيدل ص ٨٧ ،٨٨، نظرية المعرفة عند أرسطو ص ١٤، ١٥/ د: مصطفى النشار/ط٣ ١٩٩٥م/ دار المعارف – مصر

(٢)– انظر: نظرية المعرفة عند أرسطو للنشار ص ١٧

(٣) – انظر: كتاب النفس لأرسطو ص٣ / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني / ط٢ لسنة ٢٠١٥م / المركز القومي للترجمة– القاهرة

بعض المشكلات الأساسية التي تتناول عمليات التفكير والإدراك والحس وكيفية حدوث هذه العمليات[١]

ويقول أرسطو في كتابه دعوة للفلسفة – الذي ضمنه الحديث عن قيمة العقل والحاجة للتفلسف وأهميته في الحصول على المعرفة وأنواعها– :"إن المعرفة على أنواع مختلفة، فهناك المعرفة التي تنتج خيرات الحياة وهناك المعرفة التي تستخدمها، وثمة تقسيم أخر: فهناك الأنواع التي تخدم وتطيع وهناك الأنواع التي تأمر ، والأنواع الأخيرة أعلى درجة وفيها يكمن الخير بمعناه الحقيقي وهو النوع الوحيد الذي يتوصل للحكم الصحيح ويستخدم العقل ... وهو الذي يستطيع الانتفاع بسائر أنواع المعرفة وتوجيهها وفق قوانين الطبيعة وهو دليل على ضرورة التفلسف"[٢]

فالفلسفة عند أرسطو: هي العلم الذي تعرف فيه موضوعات العلوم كلها، فهي معرفة الكائنات، فخي علم الموجود بما هو موجود أي البحث عن العلل الأولى بالسؤال: ما الذي يجعل الموجود يوجد على ما هو عليه؟[٣]

وتتمثل ثورة أرسطو الفلسفية في أنه نقل مفهوم الفكر الفلسفي من إطار المثل والخيال الذي وضعه فيع أفلاطون بنظرية المثل إلى حقائق الواقع المتمثل في الطبيعة والمنطق بدراسته للواقع والبحث عن علله وأسبابه[٤]

---

(١) – انظر: نظرية المعرفة عند أرسطو، د: مصطفى النشارص٣٠

(٢) – انظر: دعوة للفلسفة (كتاب مفقود لأرسطو) ص٣٤ / ترجمة د: عبد الغفار مكاوي/ دار التنوير للطباعة والنشر– بيروت

(٣) – انظر: تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة للدكتور عبد الله شمت المجيدل ص ٢٤

(٤) – المصدر السابق ص ٢٠، ٢١

تعقيـــــب

- لقد جاءت إجابات فلاسفة اليونان عن الأسئلة التي طرحت مناسبة تماماً مع مشكلات عصرهم والغاية منها كانت أخلاقية بحتة، تساعد الإنسان على حياة أفضل فالوصول إلى السعادة كان دافعاً قوياً للبحث عن إجابات لأسئلة ذلك العصر؛ فظهرت أدوات التفلسف في الفكر اليوناني ومنها: **الشك المطلق** عند السفسطائية فهو وإن كان يفضي إلى لا شيء فقد خلقت أفكارهم عن المعرفة وإمكانها ساحة خصبة **للجدل والحوار** الذي ظهر بعد ذلك عند من عارضهم ودحض حججهم كسقراط.
- كان السؤال الفلسفي القديم عبارة عن فحصٍ مقتضاه أن يختبر السائل دعوى محاوره، بأن يلقي عليه أسئلة تستفز أفكاره فتتولد الأجوبة التي تؤول في الغالب إلى إبطال دعواه او اعترافه بما أنكره، وفلسفة سقراط خير شاهد على ذلك[1] ، فجاءت أسئلته جوهرية حول "الأنا" يجول بها داخل ملكوت النفس، وسؤاله الرئيس كان: كيف نعرف أنفسنا؟ كيف نحصل السعادة؟ عاش يطرحها ومات من أجلها.
- انتهج أفلاطون منهج السؤال في محاوراته ليبحث عن مجتمع مثالي تسوده القيم الأخلاقية من السعادة والشجاعة والعدل فعمد إلى الرمزية فجعل الشخصية الرئيسة في محاوراته شخصية سقراط السائل الذي يطرح السؤال تلو السؤال، فالمعرفة عنده كجنين في رحم أمه يحتاج إلى قابلة كذلك تحتاج المعرفة إلى قابلة تساعد على ولادة الأفكار فكانت هي " **الأسئلة** ".

---

(١) – انظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي لطه عبد الرحمن ص٢٩/المركز الثقافي العربي – المغرب / ط٢ – ٢٠٠٨

- ظهر الحديث عن منبع آخر من **منابع التفلسف** وأداة من أدواته الباطنة وهو **الدهشـــة؛ إذ يرى أفلاطون** أن الدهشة أصل التفلسف، فهي ما جعلته يتأمل الكون والإنسان ويتطلع لمعرفة أسرار الطبيعة وعللها الأولى فيقول:" الآلهة لا يتفلسفون لأنهم حاصلون على العلم، أما الإنسان فوحده يتفلسف" ويقول في إحدى محاوراته:" ينقل إلينا البصر منظر الكون، الشمس وقبة السماء وهو منظرُ يدهشنا ويدعونا إلى تأمل الكون، ومن هذا الاندهاش نشأت الفلسفة، وهي أعظم خير وهبته الآلهة للإنسان"(١)
- وكذلك أرسطو يرى أن الدهشة هي التي تدفعنا إلى التفلسف فقد دهش الإنسان في البداية مما صادفه من مشكلات عادية، ثم ما لبث أن ذهب إلى أبعد فأبعد فتساءل عن غرائب أكبر كاختلاف وجه القمر وحركة الشمس وأخيراَ عن نشأة الكون كله(٢)

فالدهشة نزوغ وتطلع إلى المعرفة، فاذا دهش لإنسان وعى بجهله، وسعى إلى المعرفة ،فالفلسفة تعني السؤال ما هذا؟ ومن أين أتى؟ وكيف حدث؟ ولماذا حدث؟(٣) .

(١) -تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة د: عبد الله شميت المجيدل ص٣٥

(٢) – المصدر السابق

(٣) – المصدر السابق

المبحث الثالث

السؤال الفلسفي في العصر الوسيط (المسيحي – الإسلامي)

- **تمهيـــد:**

إن دراسة الفلسفة الوسطية مسيحية كانت أو إسلامية يستلزم السير وفق توجهاتٍ ودروبٍ منها:

- لابد من أخذها في سياقٍ تاريخيٍ مجتمعيٍ فكريٍ، فنأخذها داخل القرائن، وكنتاج ظروفٍ وبيئةٍ، وحصيلة قدمتها شعوبٌ كسائر البشر عقلاً وفكراً وخضوعاً لقوانين التطور.

- لابد من الربط بين العطاء الفلسفي ومدى المعرفة العلمية آنذاك بالكون والإنسان، فذلك الربط هو الذي يوضح لنا أسباب تشابه بعض الفلسفات في العصر الوسيط، إذ يوضح اهتماماتها وأحكامها.

- ثم لابد من أخذ كل تلك الفلسفات ضمن التاريخ العام لوجود الإنسان من ناحية ومن ناحيةٍ أخرى ضمن الفلسفة كنتاج الفكر الإنساني الواحد[1].

وعليه؛ فإن فلسفة العصر الوسيط حلقة مهمة من حلقات تطور الفكر الفلسفي، وإن كان التقدم فيها بطيئاً إلا أنها كانت الشعاع الأول لفهم الفلسفة الحديثة.

فلو بدأنا **بالفلسفة المسيحية** مثلاً لوجدناها تعطي المقام الأول التي تستقي منه المعارف للكتاب المقدس، فالحقيقة والمعرفة عند فلاسفة المسيحية في العصر الوسيط مودعة بين طيات أسفار العهدين القديم والحديث، ثم كتاب

---

(١) – الفلسفة الوسطية أدوار جونو ص٨– ١٠ ترجمة د: على زيعور، ط١ ١٩٧٩م، دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت

الطبيعة فكتاب الطبيعة فيه مخلوقات كثيرة متميزة، تعلمنا الحقيقة دونما كذب؛ فكان الكتاب المقدس وكتاب الطبيعة هما الينبوعان اللذان ارتوى منهما الفكر الوسطي المسيحي[١] .

فالفلسفة لها علاقة بالدين الذي يبحث هو الأخر في الكون والأشياء، ولكن من حيث كونها مخلوقات صادرة عن خالقٍ أو إلهٍ، وقد استخدمت الفلسفة بالفعل في العصور الوسطى كأداةٍ للتوفيق بين العقل والنقل أو بين الشريعة والحكمة[٢] .

أولاً: العصور الوسطى الأوربية: السؤال في العصر الوسيط المسيحي:

نشأت في الفلسفة المسيحية مسألة كبرى وهي العلاقة بين العقل والوحي، ونتيجة لتأثر الفلسفة المسيحية بالفلسفة اليونانية التي لم تكن سوى فلسفة طبيعية تقوم على النظر الى الطبيعة والإنسان، في حين أن الديانة المسيحية قد بدأت روحية فائقة للعقل ابتداءً، فلم يكن بد من أن يتصدى أنصار المسيحية للدفاع عن الإيمان وإثبات معقولية العقيدة المسيحية[٣] .

وكانت الفكرة السائدة في العصر الوسيط هي أنه ليس في وسع العقل إدراك جميع الحقائق وحده، بل هناك بعض الحقائق يدركها بالوحي، والعقل يستخدم فقط في محاولة البرهنة والتدليل على هذه الحقائق، فكانت المعتقدات الدينية هي نقطة انطلاق فلاسفة العصر الوسيط.

---

(١) – المصدر السابق ص٢٨– ٣٠ بتصرف

(٢) – ماهي الفلسفة ص٨٨

(٣) – ماهي الفلسفة؟ د: حسسين على ص ٨٧، ٨٨ / دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت / ط٢٠١١م

فاذا كان ذلك كذلك؛ فهم لم يفصلوا العقيدة الدينية أو يطرحوها بطريقة ساذجة بل ذهبوا إلى أن العقل والوحي وسيلتان من وسائل المعرفة ويصدران عن أصلٍ واحد مشترك، فإن الله هو الذي أودع العقل في الإنسان وهو الذي أنزل الوحي للناس فلا يتناقضان ولكن يكمل أحدهما الأخر في الوصول الى أدراك الحقيقة وتحصيل المعرفة[١].

وكان من أهم الأسئلة الفلسفية التي طرحت في العصور الوسطى للفلسفة المسيحية ولها علاقة وثيقة باللاهوت: السؤال حول الكائن الأسمى وماهية الصفات الإلهية وكذا مسألة التوافق بين الصفات الإلهية ووجود الاله، وكيفية تحصيل المعارف اللانهائية ومسألة الخير اللانهائي، والسؤال عن الزمن وأصل الأشياء.

اهتم فلاسفة العصر الوسيط بتفسير الكتاب المقدس، والتفقه والتبحر في أمور الدين والعقيدة، وكان الأساس والشعار لتلك المرحلة ان الفلسفة في خدمة الدين، وتأثر بعض الفلاسفة هذا العصر بأفلاطون وبعضهم بأرسطو فمن أشهر الأفلاطونيين: القديس أوغسطينوس (٣٥٤م- ٤٣٠م)، ومن الأرسطيين: توما الأكويني (١٢٢٥- ١٢٤٧م)[٢].

تبدأ فلسفة العصر الوسيط على وجه التدقيق في القرن التاسع الميلادي وتنتهي في القرن الرابع عشر الميلادي، أما الفترة التي كانت من بدء المسيحية في القرن التاسع تسمى فترة " الآباء " أي آباء الكنيسة الذين حاولوا في هذه الفترة ان يدافعوا عمن الدين المسيحي ضد الغارات العنيفة التي شنها اليونانيون

---

(١) - المصدر السابق ص ٨٧-٩٠

(٢)- المصدر السابق ص٨٩

المعاصرون، أي الأفلاطونيون المحدثون [١]. **وهنا سنستعرض واحداً من أهم وأبرز شخصيات تلك الفترة وهو القديس أوغسطينوس.**

المطلب الأول

القديس أوغسطينوس (٣٥٤م- ٤٣٠م)[٢]

كان الطريق بين المعرفة والباحثين عنها يمر عبر آباء الكنيسة؛ ومن بين جميع الآباء الذين ذكرهم العصر الوسيط كان القديس **(أوغسطينوس)** الفيلسوف الذي حاذ على التأثير الأكبر والأعمق بين فلاسفة العصر الوسيط [٣].

تمثل فلسفة القديس أوغسطين قمة الفكر الفلسفي في العصر الكنسي، فهي الفلسفة المعبرة عن كل ما سبق من الفلسفات في القرون الأربعة الأولى للمسيحة وما تلاها من القرنين الخامس والسادس وهوما عرف بعصر **(آباء الكنيسة).**

---

(١) – فلسفة العصور الوسطى/ عبد الرحمن بدوي ص١٥ / وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم – بيروت / ط٣ لسنة ١٩٧٩م

(٢)– ولد أوغسطينوس في (طاغست) سنة ٣٥٤م ودرس بها علومه الأولى ثم انتقل الى مدن أخرى وأمه كانت قديسة مسيحية، ثقافته مسيحية، يونانية، فارسية مانوية التي آمن بها فترة من الزمن وهناك أيضاً الثقافة اللاتينية التي ظهرت لدية في حبه للسياسة وقد حاول الجمع بين كل هذه الثقافات في نفسه، من أشهر مؤلفاته (الرد على الأكاديميين)، (الاعترافات) (التثليث)، (مدينة الله).
انظر: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط يوسف كرم ص٢٥ وما بعدها نسخة مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٤م وفلسفة العصور الوسطى عبد الرحمن بدوي ص١٥، ١٦ والاعلام من الفلاسفة: أوغسطين (فيلسوف العصور الوسطى) للشيخ كامل محمد محمد عويضة ص ٢٩– ٣٤ / دار الكتب العلمية– بيروت/ ط١ لسنة ١٤١٣هـ–١٩٩٣م

(٣) – الفلسفة الوسطية أدوار جونو ص٢٨: ٣٠ بتصرف.

فقد تلقى أوغسطين ثقافته المسيحية في سن متقدمة بوصفها مذهباً في الخطيئة والحب واللطف، وآمن بفكرة الكنيسة الأبدية التي بدأت بآدم وستنتهي بملكوت الله، وظهرت له ثالثاً بوصفها تصاعداً روحياً للإنسان من حيث إن المسيحية تضع قيماً متصاعدة في الحياة الإنسانية وتنتهي بالقيمة العليا وهي قيمة الإنسان في ملكوت الله[١].

وتلقى ثقافته اليونانية وعرفها على شكل حكمة وتعقل وظهر أثر هذا الجانب في فلسفته إلى حدٍ كبيرٍ، كما عرف الثقافة المانوية [٢] المذهب الذي استهواه منذ البدء، فحاول أن يثبت كل شيءٍ عن طريق العقل فحسب، وحاول أن يأخذ عنه بعض الأفكار مثل فكرة الخير والشر، وفكرة نشأة العالم.

ثم بدأ أوغسطين حياة طلب المعرفة بدراسة الفلسفة، فكان ذلك أول دافع له على التفكير، وأول موقظ للروح الفلسفية عنده، وبدأ يطرح على نفسه الأسئلة الفلسفية المهمة والتي شكلت فلسفته فيما بعد مثل: ما الحقيقة؟ وما السبيل إليها؟ وما المنهج الذي يجب أن نسير عليه لكي ندركها؟ فبدأ بدراستها محاولاً إيجاد إجابات لها دون التمسك بواحدة منها[٣].

---

(١) - فلسفة العصور الوسطى عبد الرحمن بدوي ص١٥- ١٧

(٢)-**المانوية:** نسبة إلى مانى Mani بن فانك الفارسي المولود عام ٢٤١م وأعدم عام ٢٧٢م، وهو مؤسس هذا المذهب الفارسي في القرن الثالث الذي كان خليطاً من الزرادشتية والمسيحية وفكرتهم الأساسية هي أن العالم مبدئان أحدهما النور والأخر الظلمة أي الخير والشر وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس، والصورة والفعل، والتدبير متضادان. وفي الحيز محاذيان.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٤٩، مؤسسة الحلبي ط ١٤٣١هـ

(٣) -فلسفة العصور الوسطى لعبد الرحمن بدوي ص١٥، ١٦، ١٧

فقرأ في الكتب المقدسة فلم يجد فيها الكفاية ، فانصرف للمانوية لأنها في نظره دين يبحث عن الحقيقة ويجعل اكتشافها الغاية من الوجود ، ومن ناحيةٍ أخرى بدا له **مذهباً عقلياً** ، لأنه يدعو إلى الحقيقة عن طريق العقل بصرف النظر عن كونه سلطة دينية أو كتابية ، ثم إنه قد أرضى **النزعة الحسية** عنده فقد كان حسياً يتلقى المعارف ويطلبها حسياً، ثم انتقل إلى **مرحلة الشك** التي لم تتفق وطبيعته الايمانية فعزم على الخروج من مرحلة الشك والبحث عن مصادر معرفية أخرى تقدم له معارف يقينية تؤدي إلى معارف حقيقية ، فلجأ إلى مصدر معرفي جديد وهو ((**الوجدان**)) أي المعرفة التي مصدرها الروح مباشرةً[١]

وعليه فإن فلسفة **أوغسطينوس** تنطوي على الانتقال من المحسوس المادي إلى المعقول الروحي وغايتها أن نسموا بأنفسنا حتى نتصل بالله، تمسك بمنهجه الروحي إلى أن فهم سر الثالوث المقدس عبر بنية العقل البشري، واستخدم في سبيل ذلك البراهين على وجود الله **كالبرهان العلي** ومفاده: أن الأثر يدل على صاحبه. واستخدم **البرهان الأنطولوجي** ومفاده: أن الموجود الكامل هو الذي يتصف بجميع صفات الكمال، وطالما الوجود هو أحد هذه الصفات الكمالية فالكائن الكامل هو الله الموجود[٢] .

ويرى أوغسطينوس أن ثقة الفلاسفة الزائدة بقدرة العقل البشري غير مبررة، فالإيمان ضروري لأنه يسبق العقل من أجل فهم الحقائق الإلهية، رغم أن الفهم الحقيقي لا يتم إلا عند لقاء الله، والكتاب المقدس هو الضمان لمنع سقوط

---

(١) - المصدر السابق ص١٧

(٢) -عمالقة الفكر الفلسفي د. أيوب أبو دبه ص ٣٣، ٣٤ ط١ ٢٠٢٤ م، آلان ناشرون – الأردن

العقل البشري في الإثم والضلال، فالإيمان ضرورة معرفية وأخلاقية بوصف عقل الإنسان صورة لله[١] .

أما في معرض إجابته عن **سؤال الخير والشر** وكيفية وجود الشر وتسلسله في الأشياء في الوقت الذي كان فيه هذا التسلسل تدفقاً فائضاً من الخيرية؟ فيرى أوغسطينوس أن الخير هو السير على مقتضى القانون الإلهي والطبيعي، أما الشر فهو في مخالفة هذا القانون، الخير شيءٌ بالفعل أما الشر فلا يمكن أن يعتبر وجوداً حقيقياً بل هو سلب محض فهو سلب للخير وسلب للنظام وكل الموجودات ماعدا الله موجودات ناقصة بها قدرٍ من الشر كثر هذا القدر أو قل، فالوجود الخالص "**الله**" كله خير وما ليس وجوده خالصاً فيه شر، وهذا سبب ارتباط الخير بالشر[٢] .

وهنا طرح " أوغسطينوس" على نفسه سؤالاً آخر: لماذا تخضع الأشياء للشر؟ وأجاب: لأنها أدنى من ذلك الذي عملها. ومن هو الذي عملها؟ أجاب: هو الموجود؟ ومن هو الموجود؟ أجاب: هو الذي عمل الأشياء بحكمته ويحافظ على وجودها بخيره الأعظم[٣] .

يقول:" **اما من جهة ماهية الشر فقد عرفت بعد البحث والتقصي أنه ليس موجوداً من جملة الموجودات القائمة، إنما هو تمرد الإنسان الذي انسلخ**

---

(١)- المصدر السابق

(٢)- الاعترافات، الكتاب السابع ص١٢٢، ترجمة الخوري يوسف العلم/ ط٦ المعهد الأكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي – مصر ١٩٨٧م وانظر: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط يوسف كرم ص٤٤

(٣)- الأعلام من الفلاسفة: الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى الشيخ كامل محمد عويضة ص ٦٣/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١ لسنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

بهواه عن الإله الخير السامي، والتصق بخلق من هذا الكون فخرج عن دائرة الخيرية"[١]

أما عن **سؤال العالم** فيرى أوغسطين أن العالم مخلوق لله وحده وهو نفس **الاتجاه الأفلاطوني** الذي بات معجباً به، فالعالم واحد وخير وحق وكلها صفات مستفادة من خلق هذا العالم، وأن الله خلق العالم على صورته من خلال الكلمة وهي " الابن ".

وفي إجابته على سؤال: **لماذا خلق الله العالم الآن ولم يخلقه من قبل؟** قال: أننا ما دمنا قد نسبنا إلى الله " الإرادة" فلا ينبغي أن نسأل أسئلة تتضمن أن الفاعل ليس كائناً مريداً لأنه سؤالٌ لا ينبغي توجيهه إلى حيٍ قادرٍ مختارٍ، ثم إن هذا السؤال يتضمن قدم الزمان وهنا نفترض زماناً بلا عالم. فيرى أوغسطين أن سؤال لما خلق الله العالم الآن أشبه بالسؤال القائل: لماذا خلق الله العالم في هذا المكان ولم يخلقه في مكان أخر؟ وهذا سؤالُ خالٍ من كل معنى، وهو عبثُ لا طائل من ورائه، لأن المكان لا وجود له إلا بالأجسام فحيث لا أجسام لا وجود ولا مكان، وكذلك الأمر بالنسبة للزمان فالقبل والبعد من لواحق الموجودات[٢] .

تلك كانت خلاصة فلسفة أوغسطين التي اتضح منها كيف تدرج في مراتب وتنقل بين مصادر المعرفة يستخدم بعض أدواتها البرهانية والمنطقية في تدعيم فلسفته يطرح على نفسه أسئلة فلسفية كبرى ويجيب عليها مثل: ما الله؟ وما العالم؟ وما الخير وما الشر؟ ما النفس وما مصيرها؟، وكيف انتقل من معرفة مادية مدركة بالحس إلى معرفة معنوية إلى معرفة وجدانية، وهي نظرية الإشراق المشهورة عنده والتي سيكون لها أثر فيما بعد في

---

(١) – اعترافات القديس أوغسطينوس الكتاب السابع ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) - الاعلام من الفلاسفة: الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى ص ٦٣

الفلسفة الإسلامية ورأينا كيف تأثر بحديث أفلاطون عن النفس والأخلاق والسعادة.

وكذلك كان أثر المسيحية في فلسفته فقال بضرورة الإيمان ثم تعقل الإيمان فتتفرع أمامه مسائل المعرفة والله والنفس والعالم والمجتمع، كما تتفرع الأقطار من مركز الدائرة فالفلسفة عنده الانتقال من التفكير في النفس إلى الإيمان ومن الإيمان إلى التعقل، لا يتم بدون تطهير القلب بمعرفة النعمة الإلهية، أي أنه عملٌ مشتركٌ بين العقل والإرادة[١]

المطلب الثاني

القديس توماس الأكويني (١٢٢٥ – ١٢٤٧م) [٢]

يعد القديس توماس الأكويني أحد أبرز أعلام اللاهوت الكنسي المسيحي، أسس مذهباً فكرياً جديداً يهدف إلى إعادة النظر في الأصول المسيحية على أساس العقل والفلسفة، محاولا التوفيق بين فلسفة أرسطو العقلانية والإيمان المسيحي وذلك بإدخال الأرسطية العقلانية في اللاهوت المسيحي خدمة للدين المسيحي.

---

(١) – تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط يوسف كرم ص٥١، ٥٢

(٢)– ولد توما الأكويني في إيطاليا، وتلقى تعليمه الأول بدير مونيسيكاسيتو سنة ١٢٢٥م وحين بلغ الثامنة عشرة من عمره التحق بسلك الرهبنة الدومنيكية، تتلمذ على يد القديس ألبرت الكبير، توفي سنة ١٢٤٧م، من أشهر مصنفاته: شرح الأحكام والوجود والماهية وله خلاصتان الخلاصة اللاهوتية والخلاصة الثانية هي " ضد الكفار " انظر: تاريخ الفلسفة الأوربية يوسف كرم ص ١٤١، ١٤٢ وفلسفة العصور الوسطى لعبد الرحمن بدوي ص ١٣٠– ١٣٣

ومذهبه في المعرفة مقارب في مجمله لما ذهب إليه فلاسفة الإسلام وبالأخص مذهب ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ) فيعرف المعرفة على أنها " مطابقة ما في الأذهان لما في الأعيان " أي أن تكون أفكارنا صور مطابقة للواقع الذي نصل إليه عن طريق الإحساس سواء الداخلي مثل الشعور بأحوالنا النفسية، والخارجي مثل الشعور بوجود الأجسام وصفاتها التي تقع تحت حواسنا[١]

ومن أجل انتشار فلسفته بين العامة أخذ يعرض المسائل والمشكلات الفلسفية بطرية سهلة وواضحة تناسب العامة، ولعله قصد بذلك انتشارها بين الغالبية العظمى من المسيحيين[٢]

أما عن **سؤال** " **الله** " في فلسفة " توما الأكويني فهو أول المسائل وأولاها بالاهتمام به ؛ حيث إن الله هو مبدأ الأشياء وغايتها ، وهو علة الموجودات وواجد الوجود، وهو السعادة التي يبحث عنها الإنسان ولا تكون سعادته إلا بالإيمان به ، والعقل ليس له إلا التسليم بعجزه عن إدراك وتفسير بعض الظواهر إلا بالإيمان بالله وصفاته السلبية والثبوتية ، ثم تحدث عن المحرك الأول والعلة والمعلول كأدلة على وجود "الله" [٣] رافضاً **البرهان الأنطولوجي** الذي قال به القديس أنسلم(ت:١١٠٩م) وقدمه دليلا لإثبات فكرة ومعرفة " الله" إذ هو في نظر" توما " يستند بأكمله إلى فكرة أننا نحن الذين لسنا سوى بشر ، نجعل الله موقوفاً علينا ، نتصوره إلهاً كاملاً، ينطوي كماله على وجوده ، لكن

---

(١)- المصدر السابق ص٣٨، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني لمحمود قاسم ص ١٢٩: ١٣١/ مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة

(٢) -الأعلام من الفلاسفة: توماس الأكويني الشيخ كامل محمد عويضة ص٣٥ / دار الكتب العلمية– بيروت ط١ لسنة ١٤١٣هـ –١٩٩٣م

(٣)- تلخيص لما جاء في الخلاصة اللاهوتية لتوما الأكويني مج ١من ص ٢٧ –٢١٢ كلها في الحديث عن الله وصفاته

ذلك يتخطى الحدود التي يمكن أن يبلغها تفكيرنا، فلا دليل على المعرفة التي نبلغها عن وجود الله ، إلا التي كونها عنه البشر وهي فكرة قد تكون غير ملائمة[١]

وهنا يطرح توما الأكويني سؤالاً: كيف لنا بالمحصلة أن نتكلم عن الله؟

وفي الإجابة عن السؤال نرى محاولة توما وسعيه الدائم إلى إبراز فكرة الاتصال (الاستمرارية) المتصاعد التي ينبغي أن يقودنا إلى وحدة الأصل ، لذا لم يكتف باستعادة مفهوم "الله" ليس كما يتجلى في الذهن الإنساني ، مثلما فعل " أنسلم " في البرهان الأنطولوجي؛ وإنما سعى الى الاقتراب من مفهومٍ آخر ملائم لله عبر الصعود في مراتب الكائنات التي نعرفها إلى أن يبلغ الحدود الأسمى التي لا يمكننا تخطيها هنا نجد مفهوم " الله" ومثال ذلك : أننا نرى كائنات تتحرك في الكون فمن أين تأتي هذه الحركة ؟ يجيب توما قائلاً: كل حركة مصدرها كائن متحرك ، وهو بمثابة المحرك بالنسبة إليها ، فإذا ما ارتقينا في سلسلة المحركات بأكملها، فإننا سنبلغ بالضرورة المحرك الأول الذي يحرك كل ما تبقى لكنه هو نفسه غير متحرك هو ساكن وهذا هو المحرك الأول الذي لا يتحرك هو الله ، ويتابع الحديث عن فكرة أخرى غير " المحرك الأول " وهي " العلة الأولى" ومفادها: أن كل سبب هو نتيجة سبب آخر وهو بدوره نتيجة لسبب آخر وهكذا حتى تنتهي سلسلة الأسباب بالضرورة إلى سبب

---

[١] - الدهشة الفلسفية جان هرش ص١٢٨/ ترجمة: محمد آيت حنا/ط١ لسنة ٢٠١٩م/ منشورات الجمل – بيروت

لا يمكن أن يكون نتيجة لسبب آخر، فهو سبب لا مسبب له ، لا يشبه شيء خارج عنه ، أي علة ذاته وسبب ذاته وهو " الله"[١]

ثم يتابع توما الأكويني عرض فلسفته في كتابة " الخلاصة اللاهوتية "فينقسم إلى أجزاء والأجزاء الى كتب والكتاب إلى أبواب والباب إلى مباحث والمبحث إلى فصول، يفتتح كل فصل بسؤال مصاغ بصيغة تصورية أي ((هل الأمر هكذا .... أم أنه على النقيض من ذلك؟ وهكذا يجعل القارئ على بينة من الموضوع الذي سيطرحه؛ مثال ذلك: هل نستطيع أن نصف الله بصفاتٍ أم أنه غير قابلٍ للوصف؟ هكذا يتم عرض الفرضين معاً، ثم يعرض الجواب بطريقة واضحة ودقيقة ومختصرة غالباً، ثم يعرض بعدها الاعتراضات التي يمكن أن توجه أو وجهت بالفعل مبتدئاً بالاعتراض الأول تم الثاني،

ثم الثالث مستهلاً الجواب بقوله:" أرد على ذلك بقولي: حتى تنتهي كل الاعتراضات والردود عليها ثم الفقرة الأخيرة وهي الخلاصة المسألة التي طرحت[٢] .

---

(١)- المصدر السابق ص١٢٨ – ١٣٤

(٢)- الخلاصة اللاهوتية لتوما الأكويني يتناول فيه عدة موضوعات أبرزها: التعليم المقدس أي شيء هو وماذا يتناول، بساطة الله، كمال الله، مطلق الخير وجود الله في الأشياء، عدم تغيير الله، وسرمدية الله، ووحدانية الله، أسماء الله، علم الله، الحق والصدق، الباطل والكذب، إرادة الله، محبة الله القدرة الأهلية، باب في الثالوث، وغير ذلك من المحاور الهامة والشريعة الإنسانية، وقوة الشريعة الإنسانية، تبديل الشرائع، رسوم الشريعة العتيقة، رسوم الناموس الرسوم الطقسية، الشريعة الإنجيلية ، نعمة الله من حيث ماهيتها والإيمان الباطن والظاهر، موهبة الفهم، وموهبة العلم، وغير ذلك من المحاور الهامة والنسخة التي أتحدث عنها تقع في خمسة أجزاء أو مجلدات ترجمة الخوري بولس عواد ، طبعة المكتبة الأدبية ببيروت سنة ١٨٨١م.

أما عن **سؤال العلاقة بين النفس والجسد** يظل توما أقرب في رأيه إلى فلسفة أرسطو منه إلى أفلاطون؛ إذ كان يرى أن الجسد سجنٌ للنفس، وأن النفس لا تصير نفساً إلا حين تتجرد من أسر الجسد، وهي تبقى في وجودها بعد فناء الجسد مع استعدادها للاتصال به ونزوعها الطبيعي إليه[١] .

هكذا رأينا فكر ((توما الأكويني)) وفلسفته خلاصة وبلورة جديدة للفكر الأرسطي، ولكنها تستلهم في مجملها من الإيمان والوحي المسيحيين هذا من جهة ومن جهة أخرى يعطي " توما " للتجربة والوقائع المادية عناية كبيرة كما يولي عناية كبيرة للعقلانية مع ارتباط دائم بفكرة "الله الخالق" وبهذا كله شارك "توما" في استعادة الروابط بين الكنيسة والدولة [٢]

ومن خلال عرض فلسفته في بعض المسائل رأينا كيف أكد طريقته في إيضاح الفرق الذي يضعه بين العقل والإيمان وهي أكثر المسائل شهرة في العصر الوسيط ؛ إذ يرى أن الفلسفة والإيمان متمايزان من حيث الموضوع والمنهج فموضوع الفلسفة طبيعي مكتسب بالعقل ، وموضوع الإيمان فوق الطبيعة معلوم بالوحي، منهج الفلسفة البرهان ومنهج الإيمان : الاستناد إلى العقل ، فجاء مذهبه في الفلسفة واللاهوت من السعة والعمق والإحكام – كما ارتأت الكنيسة الكاثوليكية – فاتخذته مذهباً لها مع تركها الحرية لمدارس أرسطوطالية أخرى تختلف عنه في بعض المسائل دون أن تخرج عن دين الكنيسة ومنه تم السطو لفلسفة أرسطو تحت أعين الكنيسة [٣]

---

(١)- الخلاصة اللاهوتية / توما الأكويني مجلد ٢ ص ٢٧٠- ٢٧٢

(٢)- الدهشة الفلسفية ص ١٣٥، ١٣٦

(٣)- دروس في الفلسفة ص ١٥٥، وانظر الأعلام من الفلاسفة: أوغسطين/ كامل محمد عويضة ص١٣

ومما هو جدير بالذكر أن أتباع القديس أوغسطين كانوا يعتقدون أن القديس توما الأكويني لا يمثل الفلسفة المسيحية لأنه أراد أن يبدأ من العقل وينتهي إلى الإيمان، وذلك عكس المنهج الحقيقي الذي ينبغي أن تسلكه الفلسفة المسيحية في نظرهم، فأنكروا فلسفة توما ممثلة وملخصة للتراث المسيحي[١]

ووصل بهم الأمر إلى أنهم حين يناقشون قضية من قضايا " توما الأكويني " فإن مسائله دوماً قابلة للمناقشة بل إنها تعامل معاملة المسائل العادية جدا وذلك لطعنهم في روح فلسفة توما ذاتها، فلو تكلم " توما " عن الإشراق أو غيره من مصادر المعرفة فإنهم يخطئونه لأنهم من البداية يخطئون تلك العلاقة التي صاغها بين العقل والإيمان، والبعض منهم ينظر إليها على أنها فلسفة زائفة من الأساس لأنها في نظرهم ليست فلسفة مسيحية أصيلة[٢]

(١) – الاعلام من الفلاسفة: أنسلم بين الحضارة الأوربية والعصر الوسيط/ كامل محمد عويضة هامش ص ٤١/ دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ لسنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

(٢)– المصدر السابق ص٤١، ٤٢

ثانياً: السؤال في الفلسفة الإسلامية في العصر الوسيط

تمهيـــــد:

الدين يعني الإيمان بقضايا معينة معلومة من الدين بالضرورة مثل: وجود الله، والايمان بالوحي والأنبياء والكتب المنزلة، وهذا الإيمان والتسليم لا يعني إلغاء الفكر أو أن المفكر المعتقد لعقيدة معينة المسلم بها لا يلجأ إلى أسلحة العقل وأدوات المنطق في تدعيم إيمانه والدفاع عن قضايا دينه؛ ثم إن المفكر المسلم أولى بذلك المنهج من غيره، فالعقيدة الإسلامية تحث على الإيمان والتسليم وكذا تحث على استخدام براهين العقل، والنظر في الأنفس والكون؛ إذ يمر المسلم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة التصديق القلبي، والإيمان بالعقائد والأصول حتى يرسخ الدين في قلوب الناس فقط (مرحلة غرس العقيدة)

المرحلـــة الثانيـــة: مرحلـة البحـث النظـري، والتـدليل العقلـي، والبرهـان المنطقي، وصياغة الأفكار في قالب فلسفي (مرحلة درس العقيدة) [1]

ولا يمكن إنكار أن فلسفة اليونان قد وصلت إلى المسلمين وتأثروا بها تـأثراً بالغـاً ظهـر ذلـك فـي كتـابتهم وأراءهـم ، لكـن ذلـك لا يعنـي أن الفلسـفة الإسلامية كانت تابعة في كل ما آتت به للفلسفة اليونانية ، فبرغم التأثر إلا أن للفلسفة الإسلامية مسائلها وموضوعاتها المبتكرة الخاصة بها وحدها إن كان في طرحها أو معالجتها كفكرة الخلق من العدم التي استبعدتها الفلسفة اليونانية تماماً فقالت بقدم العالم ، فضلاً عن أن الفلسفة اليونانية لا تقول بالبعث الأخروي بمعناه الديني في الفلسفة الإسلامية ، بينما هو في الفلسفة الإسلامية ركن من أركان الإسلام ومعلوم من الدين بالضرورة وعن معالجة فكر (الله)

---

[1] – ما هي الفلسفة، د: حسين علي ص٩١، ٩٢

فالإله عند المسلمين لا يستوي مع المحرك الأول عند أرسطو ومثال الخير عند أفلاطون[١].

إن المحور الذي تدور علية الحياة الإسلامية بجملتها هو بلا شكٍ القران الكريم فهو يحوي نظاماً كاملاً متكاملاً من الأحكام والمبادئ الذي يتوجب على كل مسلم أن يوجه بها حياته، إضافة إلى السنة النبوية الصحيحة ولذا فإن الرعيل الأول من المسلمين قد انصرفوا إلى تنسيق أحكام الشريعة الإسلامية فنشأت العلوم الإسلامية كالتفسير وعلم الفقه وعلم النحو والبيان والعلوم اللسانية وكلها علوم تخدم القران الكريم والسنة النبوية[٢] ، وكلها علوم خاصة بالملة الإسلامية وأهلها دون غيرها وإن كان لابد لكل ملة على ما فيها من مثل تلك العلوم[٣] .

فكانت الفلسفة الإسلامية حصيلة تفاعل بين عدة عوامل فكرية وثقافية شتى كان منها العامل الديني أولا ونعني به الاعتماد على القران الكريم والسنة النبوية والاحتكام إليهما والارتباط بما فيهما من محكمات لا يشوبها أي التباس، أما المتشابه من الآيات والأحاديث فكانت الحاجة ملحة لتأويل المعنى اظاهر إلى معنى أخر باطن دفعاً للتعارض بين النصوص و تنزيهاً لله تعالى من التجسيم والتشبيه الذي قال به أهل البدع والأهواء من المجسمة والمشبهة فظهرت الفرق وظهر علم الكلام وعلم الفلسفة وعلم المنطق وظهرت المسائل

---

(١) – انظر: المصدر السابق

(٢) - انطر: تاريخ الفلسفة الإسلامية من القرن الثامن حتى يومنا هذا ص١٤ / ترجمة دكتور كمال البازجي / ط ٢ لسنة ٢٠٠٠م / دار المشرق – بيروت مراجع

(٣) – انظر: مقدمة ابن خلدون ج٢ ص ١٧٢ / تحقيق عبد الله محمد الدرويش/ ط١ لسنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

المختلفة والأسئلة الكبرى التي تحتاج إلى معالجات وإجابات تقنع الأفهام وتزيل الالتباس[١]

ثم ظهر بعد ذلك **استخدام القياس وأساليب الاستنتاج** لحل بعض المعضلات في آيات القران الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل معالجة الآيات المتشابهات في القران والأحاديث النبوية مثل قول الله تعالى: (ثم استوى على العرش) [٢]و (يد الله فوق أيديهم) [٣]، وهي قضايا عقدية انبثقت من مدارسة القران، وكانت باعثاً قوياً لظهور علم الكلام الإسلامي بحثًا عن إجابات للمسائل العقدية التي التبست واشتبهت على الأفهام من ناحية ودفاعاً عن العقيدة الإسلامية بالحجج والبراهين العقلية ضد الطاعنين والمناهضين[٤] .

وظهرت قضايا عقدية لها ارتباط وثيق بالسلوك الأخلاقي مثل العدالة وسؤال الخير والشر والمسئولية الإنسانية والثواب والعقاب مما كان سبباً في استمرار المناقشات بين الفرق الكلامية، وكلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرت الترجمات ونقلت المؤلفات اليونانية إلى العربية كلما كثرت الأسئلة وزاد التبحر للبحث عن الأجوبة مما جعل البعض يرى أن الفكر الإسلامي في العصر الوسيط كان هو الإضاءة الوحيدة في ظلمة القرون الوسطى.

لقد شاطرت الفلسفة الإسلامية الأقدمين نظرتهم إلى الإنسان باعتباره كائن من نوعٍ خاص، يتميز عن بقية الحيوانات بقدرته على عقل الأشياء، أي

---

(١) – انظر: مختصر تاريخ الفلسفة العربية لماجد فخري ص٩، ١٠ بتصرف يسير/ ط١ لسنة ١٩٨١م / دار الشورى – بيروت

(٢) - سورة الرعد:٢

(٣) – سورة الفتح: ١٠

(٤) - إحصاء العلوم للفارابي ص٨٦، ٨٧/ تقديم: د: علي بو ملحم /ط١ لسنة ١٩٩٦م، داروملكتبة الهلال– بيروت

على أن يعرف نفسه ويعرف الكل، وأن معرفة الأشياء وعقلها هو الغرض الأهم لوجوده، واعتبرت الفلسفة الإسلامية هذا الفرق بين الإنسان والموجودات الحية الأخرى فرقاً جذريا يعادل الفرق بين الموجودات الحية والأشياء الجامدة غير الحية إن لم يكن أكثر[١].

وساهمت الفلسفة الإسلامية في إضاءة ظلام العصر الوسيط وتحريك الجمود الفكري بسبب سيطرة الكنيسة على مدركات العقول، فناقشت العديد من المسائل التي طرحت في ذلك العصر بتقديم الأدلة والبراهين العقلية على القضايا العقدية التي شغلت الناس في ذلك الوقت، فساهم علم الكلام وعلم المنطق بإثبات العديد من المسائل الدينية بالمنطق على أسس عقلية وفلسفية مختلفة، وكان من المسائل المشتهرة كل ما يدور حول الالهيات، والتوحيد وأفعال الله تعالى وأفعال العباد، والخير والشر، والجنة والنار ،ابتدأت البواكير الأولى للفلسفة الإسلامية مع الفيلسوف المسلم يعقوب بن إسحاق الكندي[٢] في أوائل القرن التاسع الميلادي وانتهت مع ابن رشد[٣] في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وتزامن ذلك مع الفترة المعروفة في التاريخ الإسلامي بـ**(العصر الذهبي)**؛ إذ كان هناك فلسفة إسلامية امتازت بموضوعاتها وبحوثها ومسائلها

---

(١) – انظر: الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية لمحسن س. مهدي / ترجمة: د. وداد الحاج حسن / ط١ لسنة ٢٠٠٩م / دار الفارابي – بيروت

(٢) -يعقوب ابن إسحاق الكندي، فيلسوف العرب والإسلام في عصره لترجمته انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي ج٨ ص١٩٥ / ط١٥ لسنة ٢٠٠٢م / دار العلم للملايين – مصر.

(٣) – أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد عام ٥٢٠هـ وتوفي عام ٥٩٥هـ لترجمته: انظر الفلسفة الإسلامية وأعلامها ص١٧١ للدكتور يوسف فرحات / ط١ لسنة ١٩٨٦م / ترادكسيم – شركة مساهمة سويسرية– جنيف

ومعضلاتها وامتازت كذلك بما قدمته من أجوبة وحلول فثبتت أمام الخصوم واتخذت لنفسها مكاناً في التاريخ الفكري الإنساني، ثم إن هناك جملة من الأسس الأولية التي يتميز بها المنهج الإسلامي عن غيره **أولها:** القطيعة الأبستمولوجية مع الجاهلية، بمعنى أن المنهج الإسلامي كان ثورة على كل مناهج الجاهلية.

والثاني: عدم اقحام العقل فيما لا دخل له به ولا مدخل ليس على طريقة العقل الغربي الذي يفعل ذلك معترفاً بأنه لا ميتافيزيقا أصلاً، ولكن بالمنهج القويم الذي وضع للعقل حدوداً وفلكاً يدور فيه ولا يتعداه، وهذا لا يعني أن هناك سلطة خارجية على العقل كما كان في المسيحية مثلاً، ولكن بطريق عقلي مفاده باختصار: إذا أمنت بوجود إله خالق فقد سهل عليك الأيمان بالباقي[١]

وقد سلك فلاسفة الإسلام منهج اليقين في تحصيل المعارف فهم بين مشائي يعتمد في تحصيل المعرفة على الحس والبرهان معاً، أو إشراقي يعتمد في تحصيل المعرفة على تهذيب النفس وتزكيتها وإعدادها لتلقي الحقائق الغيبية وكلهم من أنصار اليقين وإن اختلفت طرق معالجتهم للأمر[٢]

وما من فيلسوف من فلاسفة الإسلام إلا كان له مع المعرفة وأنواعها ودرجاتها وقفة وأختار منهم[٣] :

---

(١) - انظر: الأورجانون الإسلامي (نظرية المعرفة الإسلامية) / د: عطية عدلال / ص١٩-٢٣/ط١ لسنة ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م/ هدهد للطباعة والنشر- تركيا

(٢) - انظر: نظرية المعرفة (المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات للسبحاني ص٨٦ / بقلم: الشيخ حسن محمد مكي العاملي/ط١ لسمنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م / الدار الإسلامية للطباعة والنشر - بيروت

(٣) -ذكرت أسباب الاختيار بشكل أوسع ص ٧ من هذا البحث.

المطلب الأول: الإمـــام الغزالي ت٥٠٥هـ[١] :

كان النظر والتأمل والجدل والحوار من معالم التفكير الفلسفي في العصر الوسيط وكان أيضاً **الشك المنهجي** معلماً مؤثراً مهماً من معالم الفكر الفلسفي الإسلامي الذي رفع لواءه الإمام الغزالي ت: ٥٠٥هـ رغم نقده وتكفيره للفلاسفة ومناهجهم ومهاجمة المتكلمين في بعض مسائلهم؛ إذ كان متعطشاً لإد راك حقائق الأمور فطفق يبحث عن العلم اليقين الذي يكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط، ولا يتسع القلب لتقرير ذلك[٢] .

ظهر السؤال الفلسفي في فلسفة الغزالي رحمه الله سؤالا نقدياً واختار الإمام **طريق الشك** مع اليقين التام بإمكان الوصول إلى المعرفة الحقة، فكان سؤاله سؤالاً عن المنهج المتبع للوصول إلى المعرفة، بالتدرج في استخدام مصادر المعرف وكان بنفسه نموذجاً تطبيقياً حياً خاض تجربة طلب المعرفة عن طريق " **الشك**"

ولأن الإمام الغزالي – رحمه الله – لم يكن استثناء عن غيره من الفلاسفة المسلمين الذين تناولوا نظرية المعرفة ومصادرها ومسائلها وأدواتها ووسائلها، وكانت مرتبطة عندهم بالوجود، ودارت حول فكرة" الله" ووجوده وصفاته، صرف الإمام الغزالي اهتمامه وهمه إلى التقليديات والحسيات والضروريات حتى إذا أنس بهم راوده الشك في كل منهم.

---

(١) – حجة الإسلام الإمام أبو حامد، محمد بن أحمد الغزالي المولود عام ٤٥٠ هـ بمدينة طوس وتوفي بها عام ٥٠٥هـ لترجمته انظر: الفلسفة الإسلامية وأعلامها ص١٢١

(٢) - انظر: المنقذ من الضلال للغزالي ص٥٧٩ ضمن مجموعة رسائل الإمام أبو حامد الغزالي / تحقيق إبراهيم أمين محمد /المكتبة التوفيقية – القاهرة

وانتهى طول الشك إلى عدم الثقة فيما يتلقاه من معارف عن طريقهم، فذم التقليد وحث على الاستقلال العقلي يقول في ذم التقليد:" واطلب الحق بطريق النظر.... ولا تكن في صورة أعمى ... فلا خلاص إلا في الاستقلال"(١).

وفي الحث على النظر واستخدام العقل مع الاسترشاد بالقران والسنة وعدم الاكتفاء بالعقل وحده يقول:" فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القران والسنة مغرور."(٢)

وشك كذلك في المعارف الحسية، لأن حاسة كحاسة البصر مثلاً تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك فتحكم تبعاً لذلك بنفي الحركة عنه، وتنظر إلى الكواكب أيضاً فترى الكوكب صغيراً ثم تأتي الأدلة والبراهين على أنه أكبر من الأرض في المقدار وهكذا فالحس خادع (٣) ، أما الضروريات فهي غير مطلوبة بالأساس فهي حاضرة والحاضر إذا طلب فقد واختفى، فالمعارف الأولية هي النور الذي يقذفه الله في القلب(٤)

ويقول ملخصاً حياته العقلية وما وصل إليه مجيباً عن سؤال وجه إليه يقول:" فقد سألتني أيها الأخ أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار، وما احتويته ثانياً من طرق أهل العلم القاصرين لدرك الحق على

---

(١) - انظر: ميزان العمل للغزالي ص٤٠٩ /تحقيق: د. سليمان دنيا/ ط١ لسنه ١٩٦٤م / دار المعارف– مصر

(٢)– انظر: إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ١٧ / دار المعرفة – بيروت

(٣) - المصدر السابق

(٤)– انظر: المنقذ من الضلال للغزالي ص٥٨١

تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخراً من طريق التصوف....." [١]

هذا ويرى الإمام الغزالي أن من أسباب الضلال والزيغ والوقوع في الوهم والغلط ومن ثم عدم الوصول إلى معارف يقينية رغم السعي إليها هو: سيطرة المحسوسات، وغلبة المظنونات، والجدل في غير موضعه، والإعراض عن بيان العقل[٢] .

ويؤكد على ضرورة تزكية النفس وتطهيرها من كل الصفات الحسية إذا أراد الإنسان الوصول إلى علم حقيقي، فالعلوم المكنونة لا يستطع إدراكها إلا الذين لهم قوة قريحة وصفاء ذهن وزكاء نفسٍ ونقاء حدسٍ[٣]

خاض الإمام الغزالي غمار بحر **الشك المنهجي** في رحلة شاقة طالباً إدراك الحقيقة وباحثاً عن المعرفة اليقينية التي لا يشوبها شك ولا يعتريها خطأ، مع اعترافه الكامل اليقيني بوجود الحقيقة وإمكان إدراك المعرفة يقول في ذلك:" العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم"[٤] ، ويقول: " كان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعلوم العقلية إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الأخر، فهذه الأصول الثلاثة من

---

(١)-انظر: المصدر السابق ص ٥٧٨

(٢) - انظر: المعارف العقلية لأبي حامد الغزالي ص٩٨ / تحقيق: عبد الكريم العثمان /ط١ لسنة ١٩٦٣م – ١٣٨٣هـ/ دار الفكر – دمشق

(٣) – انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي ص١٨٠ /ط٢ لسنة ١٩٧٥م / دار الآفاق الجديدة– بيروت

(٤)-المنقذ من الضلال للغزالي ص٥٧٩

الإيمان كانت قد رسخت في نفسي ، لا بدليلٍ معين مجرد، بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها"[١]

فكان **((الشك))** عند الإمام الغزالي طريقاً موصلاً إلى الحق فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال"[٢]

أما عن المصادر التي اعتمد عليها الغزالي في رحلته إلى اليقين فكانت: **(القرآن والسنة ، العقل والحواس)** وإن اعترف بها كلها إلا أنه يعلي من قدر أهل الذوق ومن أخلاقهم وعنهم يقول:" علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوها بما هو خير منه لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ..." [٣] وهذا النوع من المعرفة يحصل عن طريق الحدس ولا يمكن البرهنة عليه، ولا يمكن نقله إلى الغير، ولابد له من تطهير النفس وتزكيتها، والتجرد التام من الحس والظن يكون العقل أنموذج من نور الأنوار وهو " الله" [٤]

---

(١) – انظر: المصدر السابق ص ٥٩٥

(٢) – انظر: ميزان العمل للغزالي ص ٤٠٩

(٣) - المنقذ من الضلال للغزالي ص ٥٩٧، وانظر أيضا: الأعلام من الفلاسفة: الفلسفة الإسلامية ص١٥

(٤) – انظر: مشكاة الأنوار للغزالي ص٤٤/تحقيق: د: أبو العلا عفيفي/الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة

وجملة القول عن فلسفة الإمام الغزالي وطريقته في تحصيل المعرفة: أن المعرفة عنده درجات ومراتب ومرت معه بمراحل من مرحلة الشك إلى مرحلة النضج الفكري، وعليه اختلفت طريقته في تصنيف العلوم وتقسيمها، ثم إنه في بعض كتبه جعل بعض المعارف للعوام وبعضها للخواص، فأولئك الذين تعتمد معارفهم على الإيمان بالخبر لا يمكن طرح الحقيقة عليهم كاملة وهم العوام، وأما الخواص العارفون الذين صفت نفوسهم وقوت قريحتهم فيعرض عليهم ويشرح لهم كل أنواع المعارف والعلوم، كالعلم بالذات والصفات والأفعال

المطلب الثاني: ابن طفيل (ت ٥٨٠هـ)[١] :

أولاً: موجز لقصة حي بن يقظان:

حي بن يقظان إحدى قصص الفكر الإسلامي الرمزي في العصر الوسيط ،حوت أراء وأفكار ونظريات الفيلسوف المسلم ابن طفيل حول الله والكون والعالم ، بسردٍ قصصي رمزي شيق وملخصها : أن إنساناً واسمه " حي" نشأ في جزيرة منعزلة وقام بتربيته وإرضاعه ظبية حتى أصبح يحكي مثلها ، ويفهم صوتها وأصوات الحيوانات والطيور ، ويفعل أفعالهم لكنه كان ذكياً فتعلم أن يصنع لنفسه الثوب والأحذية وفهم ضرورة ذلك ، واستطاع بفهمه توفير كل حاجاته الضرورية من الغذاء والملبس ، ثم أخذ يستخدم ذكائه الفطري في التأمل والملاحظة إلى أن استطاع إدراك بمساعدة الإمكانيات

---

(١) – أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن طفيل، ولد سنة ٤٩٤هـ – ١١٠٠ م، وتوفي عام ٥٨٠هـ – ١١٥٨م، مفكر مسلم، أحد أعلام فلاسفة المغرب، من أشهر مؤلفاته قصته المعروفة باسم" رسالة حي بن يقظان " ترجمته: انظر: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص٣٠ / ط٣ لسنة ٢٠٠٦م / دار الطليعة –بيروت

البدائية استخدام الممنهج التجريبي القائم على الاستقراء الناقص أولاً، ليعرف الأسباب والمسببات والعلة والمعلول والعلاقة بينهم ، فأخذ يبحث ويفترض الافتراضات ويدقق ويختبر الفروض ليدرك السبب الأول الذي يقف وراء كل ظاهرة متكررة فاهتدى إلى الطبيعة أولا، ثم حاول الاتصال بالله لتحقيق السعادة القصوى التامة ، وسلك في سبيل ذلك التأمل مع النظر العقلي فانعزل وانقطع عن عالم المحسوسات وارتقى بروحه حتى تم له ما أراد . وبعدها التقى برجل تقي اسمه" أبسال" من جزيرة مجاورة وفي البداية أنكر كل منهما على الأخر ما هو عليه لكن سرعان ما اطمأن كل صاحب لصاحبه. قام أبسال بتعليم حي كلام البشر ، وتعرف أبسال على منهج حي وما وصل إليه من الاتصال والسعادة ، فأخذه أبسال إلى جزيرته التي كان يحكمها ملك تقي يسمى " سلامان " وهو صاحب (أبسال) الذي كان يحب ملازمة الجماعة ويقول بتحريم العزلة ، فطلب إليه أن يكشف لأهل الجزيرة عن الحقائق التي وصل إليها فلم يوافق ، فوجدا نفسيهما في اضطرارٍ إلى الاعتراف بأن الحقيقة الخالصة لا يمكن عرضها على العوام فهم مكبلون بأغلال الحواس ،وعرفا أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى التأثير في تلك الأفهام التي أثقلتها المحسوسات عليه أن يصوغ المفاهيم والآراء في قالب ديني ، ثم قررا اعتزال الناس إلى الأبد بعد نصحهم بالتمسك بالدين فقط وعادا الى جزيرتهما لينعما بما وصلا إليه من الحياة الخاصة والسعادة التامة التي لا يصل إليها القلائل من الناس[1]

---

[1] - لعرض القصة وتحليلها، انظر: فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان) للدكتور: عبد الحليم محمود ص٦٧- ١٣١ / ط٢ / مكتبة الأنجلو المصرية.

مصادر وأدوات المعرفة عند ابن طفيل:

وضع ابن طفيل لمصادر المعرفة مراتب وأدوات، يتدرج فيها الإنسان وينتقل ويرتقي من مرتبةٍ إلى أخرى أعلى منها حسب حاله، ومن مصادر وأدوات إدراك الحقائق المستخلصة من منهجه في قصة (حي بن يقظان) مستخدماً " **السؤال الفلسفي الرمزي** " ما يلي:

أولاً: الحـــس:

أكد ابن طفيل على دور الحس كمرتبة أولى في إدراك المعارف من العالم الخارجي المحسوس أي: عالم الأشياء المنفصلة التي لها صفات الجسمية من الطول والعرض والعمق، وهي حدود الحس، فيمكن للحس إدراك الأجسام فقط ، وهي تنقل صور المحسوسات فقط إلى الذهن كصورة مجردة ليعطيها العقل معنىً كلياً ، فلا يمكن للحس إدراك ذات الله تعالى لأنه منزهٌ عن الجسمية وصفات الأجسام ، فالحواس هي أولى مراحل تحصيل المعارف الحسية فقط ؛ فبطل القصة " حي " اعتمد أولاً على الحواس في التعرف على العالم الخارجي من السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، تم وقف بواسطة الحواس على بعض الملاحظات المتكررة التي بواسطتها استطاع فرض الفروض واختبارها ثم الوصول إلى حكم كلي باستخدام الاستقراء الناقص أولاً ، فعنما أراد معرفة سبب موت الظبية افترض أولا أن سبب الموت علة خارجية فهو قد لاحظ سابقا أن بعض أعضاء الإنسان تتعطل عن العمل أو تتوقف عند وجود علة مانعة من الاستمرار بالعمل ، فإذا ارتفعت القيود وذهبت العلة عادت إلى العمل مرة أخرى ، فإذا اغمض عينيه أو وضع شيئاً يحجب الرؤية فإنه لن يبصر، وكذا حال كل الحواس ، ثم أخذ يحقق في صحة الفروض فتبين له أن موت الظبية لم يكن لعلة خارجة فعدل إلى فرض أخر وهو أن

موتها كان بسبب علة خارجة ربما يكون القلب ، فالقلب العضو الوحيد الذي تحتاج إليه كل الأعضاء ،والإنسان يمكنه الاستغناء عن بعض الأعضاء إلا القلب فقام بتشريح القلب فوجد دماً معقوداً في التجويف الأيسر من القلب ، فعلم أن الظبية لن تعود إلى الحياة مرة أخرى ثم أكد على أن الإنسان يمكنه الارتقاء من الاستقراء الناقص إلى الاستقراء التام بتراكم المعلومات التي يحصلها بالملاحظة والتدقيق والتحقيق . ولم يقف هنا بل ظلت الأسئلة تصول وتجول في عقله بعد موت الظبية وهنا انتقل إلى مرحلة أخرى[١] .

ثانياً: العقـــل:

وابن طفيل لم يستغن هنا عن الحواس بل يؤكد على العلاقة التي تربط بين الحواس والعقل في عملية تحصيل المعرفة ومحاولات الإجابة على أسئلة تحير الأفكار ولا سبيل للحواس فيها فيأتي دور العقل ليتعامل مع المجردات والصور المنقولة له عن طريق الحواس لكنه ما زال لا يمكن له إدراك ذات الله تعالى فكما للحواس حد للعقل كذلك حد يقف عنده، فذات الله تعالى منزهة عن الجسمية ولوازمها، فالله تعالى لا يدرك حساً وكل مالا يدرك حساً لا يمكن للعقل تصور حقيقته. وهنا ينتقل إلى مرتبة ثالثة: **الإشـراق**

ثالثاً: الذوق أو الإشراق:

أي: معرفة إشراقيه لا علاقة لها بالمحسوسات أو الذهنيات تتعلق فقط بالعالم الإلهي ، ولكي يصل إليها الإنسان عليه الابتعاد عن عالم المحسوسات لأنه يحجب مشاهدة العالم الإلهي ، وعليه بالانشغال والانغماس بالتأمل (فحي) قد وصل إلى معرفة الله تعالى بالكشف فسمع ندائه وفهم كلامه ، والمشاهدة حال من أحوال الصوفية لا يمكن وصفه ولا نقله ، فيه يغيب الإنسان عن كل

(١) – انظر: فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان) للدكتور: عبد الحليم محمود ص٦٧-١٣١

شيء إلا ذاته بعد الانتهاء يزداد الشوق إلى العالم الإلهي أكثر وأكثر، وهي المعرفة الأكثر يقيناً وتأتي لطالبها بكثرة المجاهدة والرياضة الروحية وتحصل بنورٍ يقذفه الله في قلب العبد(١)

ومما هو جدير بالذكر أن: ابن طفيل يقسم المجتمع الإنساني إلى: **العوام** وهم الكثرة المطلقة في المجتمع، ومن خصائص العامة حسب رأي ابن طفيل أنهم يدينون بما يدين به المجموع ويتمسكون دائماً بظاهر الأمور، ويقيدون أنفسهم بالألفاظ.

أما **الخواص** من ذوي الفطر الفائقة والهمم العالية فهم أهل التفكير، أشد غوصاً في أمور الدين، وأكثر بحثاً عن المعاني الروحية، وأميل إلى العزلة والانفراد(٢).

وأخيراً فإن ابن طفيل حاول في قصته " حي بن يقظان "

- الإجابة عن الأسئلة التي كانت مطروحة على الساحة الفكرية، فالفلسفة بنت الواقع ووليدة البيئة والتجربة، ولكل فيلسوف تجربته الفلسفية، ومنهجه وطريقته في الوصول وإن اتحدت الغايات، فقد حاول ابن طفيل الإجابة على الأسئلة الوجودية الفطرية بطريقة رمزية علمية عقلية مرتبة حتى أصبح رائداً من رواد الفلسفة الرمزية ووصل إلى غايته وهي التوفيق بين العقل والنقل المسألة الأكثر شهرة ودراسة في فلسفة العصر الوسيط.
- المعرفة تقوم أولاً بالحس ثم بالعقل وأدواته ثم بالبحث النظري والتأمل، لكن أتم أدوارها وأفضل مراتبها الشعور الباطن بالحق؛ فالمعرفة الحقة ذوق لا اكتساب ولا تقليد(٣)

---

(١) ــ انظر: المصدر السابق وانظر أيضاً: الفلسفة الإسلامية وأعلامها للدكتور يوسف فرحات ص ١٦٦

(٢) ــ انظر: فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان) ص ٢٧ -٢٩

(٣) ــ انظر: الفلسفة الإسلامية وأعلامها للدكتور يوسف فرحات ص ١٦٦

تعقيب

ما سبق بيانه يمكن القول: إن **النظر في مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية والعناية بهما كان سبباً في ظهور مسائل جديدة على البيئة الإسلامية، ومنه كثرت الأسئلة وزاد البحث عن إجابات مقنعة للعقل الذي بدأ يأخذ دوراً جديداً عليه بعد اطلاع الفلاسفة المسلمين على التراث الفلسفي اليوناني ومحاولاتهم التوفيق بين الوحي والفلسفة أو بين الحكمة والشريعة القضية الأهم في العصر الوسيط على أيدي الفلاسفة المسلمين في المشرق والمغرب.**

- إنه بتتبع حركة السؤال الفلسفي في الفكر الإسلامي نجد أنه يعتمد أولاً وأخراً على التصور الكلي لبعض القضايا العقدية مثل: مفهوم " الله" ووجوده ووجود الإنسان وما يتعلق به من أمور، وأن صيغ السؤال الفلسفي وطرق معالجته اختلفت كذلك عند الفلاسفة تبعاً لاختلاف فهمهم للتصور الأنطولوجي العام لتلك القضايا. وليس هذا خاصاً بالفلسفة الإسلامية أو العربية وحدها بل وجد أيضاً في الفلسفة اليونانية، فلما كان المبدأ الفلسفي العام عند فلاسفة اليونان يقول: إن الطبيعة هي المفهوم الرئيس الذي انبثقت منه كل المفاهيم كان السؤال الفلسفي يدور حول الطبيعة وعرف الفلاسفة وقتها بالفلاسفة الطبيعيين[1].

- تحدث فلاسفة الإسلام عن القضايا الأساسية العقدية الكبرى والأسئلة الفلسفية الكبرى كالوجود والنفس ، والخلود ، والجنة والنار والخلق ، فكانوا يحتكمون إلى العقل لكن لم يجعلوا له الحكم النهائي على العالم ، ورغم العقيدة الإسلامية وأصولها إلا أن تأثرهم بالفلسفة اليونانية كان واضحاً لا يمكن إنكاره

---

(١) – راجع المبحث الثاني من هذا البحث

في تعريفاتهم للفلسفة والعقل والنفس وكذلك تبني قضية التوفيق بين الدين والفلسفة الامر الذي كان سائداً في العصور الوسطى ، نعم كان ذلك كذلك لكن كما ذكرت سابقا أنهم استطاعوا ابتكار أساليب تميز فلسفتهم بتميز موضوعات العقيدة الإسلامية ، فهم وإن تأثروا بغيرهم فقد ثبت تأثر فلاسفة العصر الحديث بفلسفاتهم ومناهجهم في تحصيل المعرفة كما كان بين ابن رشد والأكويني وكذلك بين الغزالي وديكارت.

- كانت نظرية المعرفة عند القدماء من فلاسفة اليونان مبثوثة متفرقة في ثنايا مبحث الوجود والقيم فلم يكتب فيها كتاب واحد أو تدرس دراسة منهجية متخصصة ، فقد كانت عند أفلاطون ضمن مباحث الجدل ، وعند أرسطو في بحث ما وراء الطبيعة دون تمييز يذكر بين مباحث المعرفة ومباحث الميتافيزيقا أو مباحث القيم والأخلاق وعليه فإن الفلاسفة المسلمون قد انتبهوا لأهمية موضوع المعرفة بالنسبة لهم وعلاقته بالوجود فسبقوا غيرهم في إفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم الأمر الذي لم ينتبه إلية الغربيون إلا في القرن السابع عشر[1]

وأخيراً أقول: إن أغلب الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد جمعوا بين المعارف الحسية والمعارف العقلية كمصدرين رئيسين من مصادر المعرفة، ثم تحدثوا عن معارف أخرى غير الحس والعقل في مراحل فكرية أخرى، فمنهم من تحدث عن المعرفة الإشراقية وفضلها على غيرها كابن سينا ، ومنهم من اعتمد الشك المنهجي في الحس والعقل ، ثم عاد للحديث عن المعارف الحدسية كالغزالي ، ومنهم من فضل المعارف على العقلية على الحسية رغم

---

[1] - انظر: نظرية المعرفة بين القران والسنة للدكتور: راجح عبد الحميد الكردي ص٥٦ وما بعدها /مكتبة المؤيد- المملكة العربية السعودية/ ط١ لسنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

اعترافه بالحسية كابن باجة وابن رشد ، ومنهم من جعلها مراتب يرتقى فيها كسلم معرفي وأعلى من شأن الذوق والإشراق معتبراً أن المعرفة الإشراقية أفضل وأيقن المعارف كابن طفيل .

المبحث الرابع

السؤال الفلسفي في عصر النهضة ومشارف العصر الحديث

تمهيـــد:

يبدأ تاريخ الفلسفة الحديثة بنهاية العصر الوسيط تاريخياً عام ١٤٥٣م وتسمى الحقبة التي بدأت بهذا التاريخ باسم(**عصر النهضة)**، وينقسم تقسيماً فرعياً إلى فترتين: **الفترة الأولى (الفترة الإنسانية)** وهي الفترة التي تبدأ من عام ١٤٥٣م حتى عام ١٦٠٠م حيث كانت قيادة الفلسفة في إيطاليا، وكانت السمة الغالبة والروح المسيطرة هي روح الفلاسفة القدماء (اليونان واللاتين) ، **أما الفترة الثانية** من عصر النهضة فيؤرخ لها من ١٦٠٠م حتى ١٦٩٠م وهذه هي الفترة الأهم التي ظهر فيها فلاسفة كبار، فلمع فيها نجم فرنسيس بيكون(ت:١٦٢٦م) وتوماس هوبز(ت: ١٦٧٩م) و ديكارت(ت:١٦٥٠م)، وسبينوزا(ت:١٦٧٧م)، وليبنتيز(ت:١٧١٦م)، كل فيلسوف منهم له منهجه الخاص المبتكر ووجهة نظر في الفلسفة عموما وإدراك الحقيقة وتحصيل المعارف خصوصاً[١]

أولاً: (عصر النهضة)

حيث بداية الثورة على الكنيسة والتخلص من سيطرتها وتسلطها في القرون الوسطى، مما أدى إلى تجمد وتوقف حركات الإبداع عند حدود ما تسمح به الكنيسة، فأخذ النقل مكان العقل. وهو ما شغل أذهان رجال عصر النهضة وبذر بذور الشك في أذهانهم فجعلهم ينتفصون من قيمة ما درسوه من معارف سابقة، ودفعهم ذلك إلى ابتكار طرق جديدة كانت هي الأساس للنهضة

---

(١) - تاريخ الفلسفة الحديثة. وليم كلي رايت. ص ٢٩، ٣٠ ترجمة: محمود سيد أحمد. تقديم ومراجعة: إمام عبد الفتاح إمام. ط١. ٢٠١٠م. التنوير للطباعة والنشر – بيروت (لبنان)

وبداية العصر الحديث وبداية الفلسفة الحديثة، بل أساس الثقافة في العصر الحديث [١]

فبعد أن كانت العلوم كلها في خدمة الدين والكنيسة اتجه رجال عصر النهضة إلى الاستقلال والتحرر من الدين فأصبح لكل علمٍ من يدافع عنه فظهرت العلوم السياسية والفنون والآداب، أما الدرس الفلسفي فكان المتعارف عليه في العصر الوسيط أن يبدأ فيه بالإيمان أولاً بفكرة معينة ثم يحاول الدارس بعد ذلك وصل الأسباب بالنتائج؛ لكن رجال النهضة رأوا خطأ هذه الطريقة فقاموا يدعون إلى التجربة، فيجب ألا تؤمن بشيءٍ قبل أن تجربه في ظروفٍ مختلفةٍ ، وعلى أيدي أناسٍ كثيرين.

فعندما نتكلم عن عصر **النهضة الأوربية** نقصد تلك الثورة التي أصابت الذهن الأوربي فتوقف فجأة عن متابعة السير في ثقافته، وأخذ يتساءل هذا السؤال: هل الطريقة التي أتبعها في الدرس حسنة أم سيئة؟[٢]

ونقصد بها عملياً بداية عصر الاكتشافات الجغرافية والإصلاح البروتستانتي والتخلص من سيطرة الكنيسة[٣]

ومن هنا يمكن أن نقول: إن النهضة كانت ثورة العلم وبذرته، للتعبير عن طرق جديدة للتفكير الفلسفي وتغيير أنماط التفكير التقليدية السابقة وعليه فنحن هنا مع اثنين من أشهر فلاسفة تلك الفترة، فعندما يذكر عصر النهضة تذكر التجربة والملاحظة ويأتي إلى الذهن أحد أشهر رواد التجربة وأهم

---

(١)- ما هي النهضة لسلامة موسى ص ٤١، ٤٢ / مؤسسة هنداوي – المملكة المتحدة / ط ٢٠١١م

(٢)– ماهي النهضة ص٤١

(٣) – انظر: فلسفة عصر النهضة لأرنست جوخ ص٧،٨ / ترجمة: إلياس مرقص/ دار الحقيقة للطباعة والنشر /ط١ لسنة ١٩٨٠م

رجال عصر النهضة وحلقة الوصل بين القرون الوسطى والعصر الحديث وهو " **فرنسيس بيكون** "[١] والأخر هو **رينيه ديكارت** (أبو الفلسفة الحديثة) ورائد منهج الشك في العصر الحديث.

المطلب الأول: فرنسيس بيكون(ت:١٦٢٦م):

كان " **فرنسيس بيكون**" من أبرز رجال عصر النهضة الذين برز اسمهم واشتهر، حيث توسع في منطق الاستقراء والتطبيق دون أن يصطدم بالدين بعد أن تحامل رجال عصر النهضة على منطق أرسطو[٢].

فقد مارس فرنسيس بيكون صيغة مهمة من **صيغ السؤال الفلسفي** واشتهر بها، وصار بها علماً من أعلام **سؤال المنهج** وهذه الصيغة " **السؤال الفلسفي النقدي**" الذي يتخلص في أن المعرفة ممكنة لكن لا يتوصل إليها إلا

---

(١) - ولد فرنسيس بيكون بلندن عام ١٥٦١م لأبوين من أسرتين عريقتين ، أبوه السير نيقولا بيكون كان يحمل أختام الملكية في عهد الملكة اليزابيث، وأمه كانت واسعة الثقافة لم تدخر جهداً في تعليم فرنسيس حتى ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء والتفوق ، انكب على التعليم والدراسة فكان ناقداً للفلسفات السائدة في عصرة داعياً إلى النظر في الفلسفات والمذاهب الموروثة، نادي بالتجربة والملاحظة والتمحيص والنظر في الطبيعة والتطبيق وصنف في ذلك المصنفات التي كان منها: رسالة في(تقدم العلوم) ورسالة ثانيه تفصلها سماها:(كرامة العلوم ونموها) ومن أهم مؤلفاته:(الأورجانون الجديد: العلامات الصادقة لتأويل الطبيعة) ووضع كتاباً في السياسة سماه (أتلنتس الجديدة) ، وظل مكباً على العمل والتجريب حتى وفاته عام ١٦٢٦م أثناء إجراء تجربة من تجاربه حتى روي أنه قال على فراش الموت:" لقد نجحت التجربة" الجملة التي أصبحت شعاراً لعصر بأكمله. أنظر: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم ص٤٤، ٤٥، الأعلام من الفلاسفة: فرنسيس بيكون (فيلسوف المنهج التجريبي الحديث) للشيخ كامل محمد عويضة ٣٣ ٣٤ / دار الكتب العلمية- بيروت/ط١ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) - دروس في الفلسفة ص٢٩٩

بنقد المورثات السابقة وتمحيصها وتدقيقها، والتخلص مما يثبت أنه غير دقيق، وطريقته في ذلك الملاحظة **والتجربة** والتحليل لمعطيات التجربة ثم تركيب النتائج للوصول إلى المعرفة.

وإليك تفصيل هذا الجانب من فلسفته:

تعمد " **بيكون**" نقد طريقة القدماء اليونانيين لاستخدامهم القياس ونقد المنطق القديم ، فالقياس بأسره – في نظره– حتى لو كان صحيحاً من الوجهة الصورية الخالصة فإنه عملية عقيمة، فهو يعين على توطيد دعائم أفكار موجودة من قبل قد تكون باطلة كل البطلان ، ولكنه لا يعين أبداً على البحث عن الحقيقة والوصول إلى المعرفة ، فما هو إلا طريقة لإقناع الخصم عن طريق الحجج اللفظية ، على أن الهدف من البحث العلمي ليس قهر الخصم وإنما قهر الطبيعة نفسها وليس السيطرة على الألفاظ ،فالقياس عند "بيكون" منهجاً عقيماً كل العقم بالنسبة إلى أي علم يرمي إلى كشف حقائق الكون وإخضاعها لسيطرة الإنسان، وغاية ما يمكن أن ينتفع به من القياس: استخدامه أداة لنشر الحقائق وإقناع الأذهان بها، لا لكشف الجديد منها [١]

يرى بيكون أن الفلسفة قد تجمدت وأرجع السبب في ذلك إلى اختلاط الفلسفة بالدين الذي كان مرتكزاً أساسياً في فلسفة العصور الوسطى ، وكذا توقف الفلاسفة عن الإبداع لتسليمهم بآراء السابقين دون النظر في صحتها من عدمه، وكذا ساد الاعتقاد في العصور الوسطى بأن العقل وحده كافياً في الوصول إلى الحقيقة وإدراك المعارف ، والثقة الشديدة في النتائج المحصلة عن طريق العقل ؛ فكان يرى أن الخلل في طريقة التفكير ذاتها وأن استخدام طرق

---

(١)- الأورجانون الجديد لفرنسيس بيكون المقدمة ص١– ١٢/ د: فؤاد زكريا/ الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٤م، وانظر أيضا: آفاق الفلسفة د. فؤاد زكريا ص١٠٧، ١٠٨/دار التنوير للطباعة والنشر– بيروت / ط١ لسنة ١٩٨٨م.

الاستنتاج القديمة لن تؤدي إلى حقائق جديدة فالنتيجة غالباً ما تكون موجودة ومتضمنة في المقدمات ، فثار على فلسفة أرسطو وكذلك فلسفة أفلاطون (الغير واقعية) وحملهما وزر الجمود الفكري والتقليد وانحدار الفكر ، ومن ثم اعتقد أن الطريقة الوحيدة الجيدة التي تحقق نتائج صحيحة موثوق بها هي الصيغة الجديدة التي وضعها للاستقراء ، وقصد بذلك منهج استخراج القواعد العامة أو القانون العلمي الكلي من مفردات الواقع استناداً إلى **الملاحظة والتجربة** .

أما عن الطرق التي يمكن أن تحصل وتتقدم بها المعارف البشرية دعا **بيكون** إلى **ضرورة التجربة** باعتبارها الأساس لهذه المعارف والاعتماد على الطبيعة فيقول:" **الإنسان هو الموكل بالطبيعة والمفسر لها**"(١).

ثم يقول:" الطبيعة تفوق دقة الحواس والفكر أضعافاً، بحيث إن جميع التأملات والتنظيرات والشروح المنمقة التي ينغمس فيها الناس هي محض جنون. كل ما في الأمر أن لا أحد هناك ليلاحظها"(٢)

كان بيكون يعتقد أن جميع الادعاءات المعرفية وخصوصاً المتعلقة بعلوم العصور الوسطى هي ادعاءات باطلة فعقول الناس تطرح تعميمات متسرعة تعوق الوصول إلى المعرفة، واعتقد كذلك أن معظم هذه التعميمات قائم على اختبارات غير كافية لظاهرة طبيعية قائمة، ومع ذلك فإنه يرى أن العقل بإمكانه اكتشاف الحقيقة ومن ثم يستطيع الأفراد أن يكتسبوا قوة تفوق قوة الطبيعة، وكان هذا هو هدف **بيكون** الرئيس أن يحصل العنصر البشري على هذه القوة، وعليه نادى بتطهير العقل البشري من تحيزاته وأوهامه الأربعة.

---

(١) – الأورجانون الجديد. لفرنسيس بيكون ص ١٦
(٢) – المصدر السابق ص١٩

وهذه الأوهام الأربعة تطيح بالعقل، وتظل تلاحقه في عملية تجديد العلوم نفسها، وتضع أمامه العوائق مالم يأخذ الإنسان حذره ويحصن نفسه، فيجب دراسة هذه الأوهام ومعرفتها من أجل الوصول إلى معرفة يقينية[١] .

وهذه الأوهام الأربعة تطوي بواعث الخطأ فيما يخص الرؤية التي تكون لدى الإنسان من علم الطبيعة العلم الذي انشغل واشتغل به فرنسيس بيكون[٢] ، والأوهام كما أطلق عليها بيكون:

- أوهام القبيلة
- أوهام الكهف
- أوهام السوق
- أوهام المسرح

فالأولى وهي أوهام القبيلة تعود إلى النقص الطبيعي في العقل الإنساني من حيث هو كذلك، أي من حيث هو عقل إنسان ورث الخطيئة والكبرياء والغرور، والعقل هنا أشبه بالمرآة الكاذبة التي تشوه طبيعة الأشياء وألوانها. وأوهام القبيلة مشتركة بين جميع أفراد الإنسان، إنها نوع من الإهمال والخمول يجعل الإنسان ميالاً إلى أن يفرض على الطبيعة ما يمليه عليه عقله لا ما تمليه عليه التجربة والمشاهدة ... ومن مظاهر هذا الميل: التعميم الذي يجعل الإنسان يعمم النظر إلى الحالات المؤيدة دون التفاتٍ إلى الحالات المعارضة، ومن مظاهره أيضاً: الرغبة في رؤية تصورات تتحقق في الطبيعة دون سند من الواقع. إن أوهام القبيلة تجعل العقل يستريح إلى صورة من الصور فيجتهد في فرضها على الواقع، وإن اقتضى منه ذلك أن يلوي أو يغير الوقائع لتتفق مع صورته، لأنه

---

(١)- الأورجانون الجديد. فرنسيس بيكون ص ٢٩.

(٢)- فلسفة فرنسيس بيكون. د. حبيب الشاروني ص٥٣، ٥٤. ط١ دار الثقافة – الدار البيضاء(المغرب) ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م

يتعالى عن النظر إلى الطبيعة وخصائصها ودقائقها مكتفياً بعقله وقوانينه متصوراً ومدعياً أنه حاصلٌ على اليقين بذاته[١]

وأما **أوهام الكهف** : ويقصد بالكهف هنا كهف الفردانية والرأي الأوحد ، وهي الأوهام الفردية التي يقع فيها كل شخص نتيجة لتكوينه الخاص مثل السجين الذي ينظر إلى العالم فقط من خلال سجنه الذي هو كهفه ، فلا يرى إلا ما يتلاءم مع ظلاله ، وما من إنسان إلا وهو سجين كهف ما ، تعوق أوهامه عن الرؤية الصادقة للطبيعة ، ومن **مظاهر أوهام الكهف** : تسليم بعض الناس بالجديد وتقبله دون فحصٍ لأنه جديد ، بينما أخرون يسلمون بالقديم ويكفيهم القدم ذاته علامة على الصدق ، ومن الناس كذلك من تستأثر بعقله فكرة تصح في مجالها أو كشف يصدق في ميدانه، فلا يرى موضوعاً إلا من خلال هذه الفكرة أو هذا الكشف، وهذا الغلو يميل بالإنسان إلى الضلال ويعرضه للشطط ، فيجب التماس الحقيقة في ضوء الطبيعة والتجربة[٢]

واما **أوهام السوق:** فهي أوهامٌ تنشأ عن تواصل الناس واجتماعهم فيتحادثون قولاً، والكلمات يتم اختيارها بما يلائم فهم العامة، وهكذا حتى تنشأ مدونة من الكلمات السيئة التي تعوق العقل إعاقة لا تجدي معها بعد ذلك التعريفات والشروح، فهي ألفاظٌ تنتهك الأفهام وتوقع في الخلط في كل شيء، وتوقع الناس في مجادلات ومغالطات لا حصر لها[٣]

---

(١) – الأورجانون الجديد. فرنسيس بيكون ص٢٨، ٢٩، وانظر أيضا: فلسفة فرنسيس بيكون. د. حبيب الشاروني ص ٥٤، ٥٥. وانظر أوهام العقل (قراءة في الأورجانون الجديد لفرنسيس بيكون) د. عادل مصطفى ص ١٨، ١٩. مؤسسة هنداوي – المملكة المتحدة.

(٢) – الأورجانون الجديد ص٣٠، وانظر أيضا: أوهام العقل ص٢٢

(٣) – الأورجانون الجديد ص٣٠، فلسفة فرنسيس بيكون ص٥٨

وأما **أوهام المسرح:** فهي التي تنشأ من سيطرة ونفوذ القضايا والنظريات والمذاهب الفلسفية المتوارثة ،فهذه كلها يتلقاها الإنسان كما يتلقى المسرحيات وفي ذلك يقول بيكون: " إني أعتبر أن كل الفلسفات التي تعلمها الناس وابتكروها حتى الآن هي أشبه بمسرحياتٍ عديدة جداً تقدم وتؤدى على المسرح، خالقة عوالم زائفة وهمية، ولا ينسحب حديثي على الفلسفات والمذاهب الرائجة اليوم فحسب، ولا حتى على المذاهب القديمة، فما يزال بالإمكان تأليف الكثير من نفس النمط، وتقديمها بنفس الطريقة المصطنعة"[١]

وعليه فإن بيكون يرى أن المعرفة لا تتحقق إلا **بالتحرر والتخلص من تلك الأوهام وكل مظاهرها؛** فأيد الأساليب التجريبية فلا يمكن أن يكون سوى طريقتين اثنتين للبحث عن الحقيقة وتحصيل المعرفة وكشفها: **الأولى:** تقفز من الحواس والجزئيات إلى أكثر المبادئ عمومية، ثم تنطلق من هذه المبادئ وقد سلمت تسليماً بصدقها وتلك هي الطريقة الراهنة.

والثانية: أن تستمد المبادئ من الحواس والجزئيات ثم ترتقي في صعود تدريجي غير منقطع حتى تصل في النهاية إلى أكثر المبادئ عمومية، وهي الطريقة الصحيحة؛ فإنه إن ترك الفكر لحاله لتتبع الطريقة الأولى حتى لا يكلف نفسه عناء البحث فسرعان ما يضيق زرعاً بالتجربة ، **فالطريقة الأولى:** تمر مروراً سريعا على الجزئيات وتضع تعميمات مسبقة، **أما الثانية:** فتتعمق في نظر الجزئيات ثم تصل بها إلى المبادئ التي هي أعم في نظام الطبيعة[٢]

ولعل أهم ما تميزت به فلسفة بيكون: تجديدها للمنطق، ونظرتها الجديدة في الاستقراء، وبلورت فلسفته قدرة الانسان على السيطرة على الطبيعة ؛إذ

---

(١)- الأورجانون الجديد ص ٣٠، أوهام العقل ص٢٤، ٢٥

(٢) – الأورجانون الجديد ص٢٢، ٢٣

كان يؤمن بأن الإنسان له السيادة على المخلوقات جميعاً، ثم أدى فساد العلم إلى فقدانه هذه السيطرة، ومن هنا كانت غايته مساعدة الإنسان على استعادة سيطرته على العالم، ولم يعتبر بيكون حاملاً لواء العلم والروح العلمية بنظرته الجديدة إلى الاستقراء فقط بل إنه يعد الممثل الأول للمذهب التجريبي الذي بلغ قمته وقيمته بعد ذلك مع التقدم السريع للعلم بعد وفاة بيكون، وكان لتعاليمه تأثير في دفع حركة العلم إلى الأمام"[١]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

المطلب الثاني: رينييه ديكارت (ت: ١٦٥٠م)[٢]

يخبرنا تاريخ الفكر البشري أن الفكر حلقات متصلة يؤثر فيها السابق باللاحق ويتأثر فيها اللاحق بالسابق، فمن العصر اليوناني مروراً بعصر آباء الكنيسة ثم العصر الوسيط وعصر النهضة فنحن الآن على مشارف العصر الحديث؛ العصر الذي كثرت فيه مناهج الفكر الفلسفي وتعددت واختلفت وتباينت، كل منهج له طابع خاص وطريقة معينة في البحث عن الحقيقة وتحصيل المعرفة.

---

(١) – آفاق الفلسفة. د. فؤاد زكريا ص ٨٨، الأورجانون الجديد. فؤاد زكريا ص ٦٦

(٢) – ولد رينية ديكارت عام ١٥٩٦م بفرنسا ،فكان أبوه جوشيم ديكارت مستشاراً في البرلمان وأمه بنت حاكم المدينة، تلقى تعليمه وترقى في مراحل التعليم المختلفة، كان كثير الترحال والسفر فقد طاف في أنحاء أوروبا، له العديد من المؤلفات المهمة منها: التأملات في الفلسفة الأولى ، و مبادئ الفلسفة ، وكتاب البحث عن الحقيقة بواسطة النور الطبيعي، ورسالة في وجود الله ووجود النفس ، ورسالة أخرى في وجود الإنسان ، مات ديكارت بستوكهولم متأثرا بمرض عضال عام ١٦٥٠م. انظر: الاعلام من الفلاسفة: ديكارت(**رائد** الفلسفة في العصر الحديث) ص ٧ – ١٣الشيخ كامل محمد عويضة/ دار الكتب العلمية– بيروت / ط١ لسنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م. وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٥٨– ٦٢

فلإن كانت صيغ السؤال في عصر النهضة تدور حول وقائع الطبيعة باستخدام **الملاحظة والتجربة** بعد التخلي عن الموروثات والأوهام فنحن الآن مع **منهج جديد وصيغة جديدة للسؤال الفلسفي** تعتمد على **(الحدس والاستنباط والشك) الذي** دعا إليه رائد الفلسفة الحديثة **رينيه ديكارت.**

الفلسفة عند ديكارت هي دراسة الحكمة، والحكمة علم واحد كلي، هي تفسير جامع للكون ونظام شامل للمعرفة البشرية فهي علم المبادئ العامة يدخل فيها علم الله وعلم الطبيعة وعلم الإنسان، وهي نظر وعمل والنظر هو الأساس الذي يقوم عليه العمل[١]

أسس ديكارت نظريته في المعرفة وطلبها على **الشك في كل شيء** انطلق من الأفكار البسيطة ولكنه عمل على تفريغ العقل البشري من كافة العلوم التي تلقاها، ليبدأ التأسيس لمعارف يقينية، فكل شيء عنده قابل للتمحيص وبعده يمكن أن نصل إلى معارف يقينية ، وشكه لم يكن شكاً من أجل الشك ولكن شكاً لخدمة المعرفة، هدفه الوصول إلى معرفة يقينية دقيقة واضحة ، شك ديكارت في المعرفة المتلقاة عن طريق الحواس يقول : " كل ما تلقيته حتى الآن على أنه أصدق الأمور وأوثقها، تلقيته بالحواس غير أني وجدتها خادعة ومن الحكمة ألا نطمئن إلى من يخدعنا ولو لمرة واحدة"[٢]

يعتقد ديكارت أن الحدس والقياس عملان فكريان وأنهما أساس البرهنة الصحيحة، فالحدس هو ذلك النور الإلهي، والغريزة العقلية التي تستطيع أن

---

(١) – ديكارت مبادئ الفلسفة ص ١٢. ترجمة: د. عثمان أمين. دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٥م

(٢) – التأملات في الفلسفة الأولى. رينيه ديكارت ص٦٦. ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة– القاهرة

ندرك بها (الأفكار البسيطة) أو الحقائق الثابتة والروابط بين قضية وأخرى، والقياس هو: إثبات قضية ما بواسطة مبادئ عامة تصدق عليها(١)

وضع ديكارت قواعده الأربع التي يجب اتباعها لتحصيل وجمع الحقائق اليقينية والبحث عما بينها من صلات وروابط يمكننا من قياس بعضها على بعض وهي في اختصار كالتالي:

(قاعدة اليقين): لا تقبل شيئاً مطلقاً على أنه حق إلا إذا كان كذلك في وضوح، بحيث لا يعرض له الشك في الذهن بحال، ويقصد ديكارت بهذا تطهير العقل من الأفكار الموروثة والمتداولة التي لم تثبت صحتها، والخروج على سلطان الكنيسة والفلسفة المدرسية والاعتداد بالحقيقة وحدها كيفما كان مصدرها، ومقياس الحقيقة في نظره هو جلاء الأفكار ووضوحها(٢)

** تقسيم المشكلة التي نحن بصدد دراستها ما أمكن، فذلك أحرى في الوصول إلى حلها على أحسن وجه، فنرد المركب الصعب إلى البسيط السهل، ونخرج من دائرة المحسوس إلى دائرة المعقول، ونحول العالم الحسي الغامض إلى عالم عقلي واضح.

** قيادة الأفكار بنظام، مبتدئين بأبسطها، ومنتهيين بأكثرها تعقيداً، وهذه القاعدة مكملة لسابقتها ومتممة لها، فلا يكفي أن نرد العالم إلى عناصره الأولية، بل يجب أن ندرك ما بين هذه العناصر من علاقات كي نفهم سرها ونستطيع تركيبها وربط بعضها ببعض ربطاً منطقياً(٣)

---

(١) – دروس في الفلسفة ص ٣٠١، ٣٠٣ / الأعلام من الفلاسفة: ديكارت ص ٢٢، ٢٣

(٢) – **انظر**: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم ص ٦٣، ٦٤، دروس في الفلسفة ص٣٠١

(٣) – انظر: قواعد لتوجيه الفكر. رينيه ديكارت ص ٧٨. ترجمة وتقديم سفيان سعدالله. دار سراس للنشر (تونس) ٢٠٠١م

** عمل إحصاءات تامة ومراجعات عامة، بحيث نتأكد من أننا لم نغفل شيئاً مما له صلة بالمشكلة[١]

أما عن المسائل الميتافيزيقية في فلسفة ديكارت فيمكن القول: إن ديكارت قد أخذ من الدين ما يناسب مذهبه ويدعمه ثم تركه، وفصل القول في أجزاء فلسفته تفصيلاً عقلياً، بحيث لو تناسى القارئ الدعائم الأولى لفلسفته خيل إليه أنها فلسفة عقلية بحتة لا علاقة لها بالدين في شيء، ففي نظر ديكارت أن وجود الله ووجود الإنسان ووجود العالم كلها وجودات مشوبة بأوهامٍ وأخطاءٍ لا حصر لها. ولا سبيل إلى الوصول إلى اليقين إلا إذا نبذنا ما ألفناه وما درجنا عليه من آراء فنحن مضطرون إلى الشك في كل شيء، لأن الحس خادع والحقائق العامة معرضة لتأثير الوهم والمخيلة، وما جاز عليه الخطأ زال عنه اليقين [٢]

فالمعرفة اليقينية عند ديكارت تتمثل في أفكار فطرية مودعة أصلاً في عقولنا وهي بسيطة غير مركبة يولد الإنسان مزوداً بها، ولا يكتسبها بخبرة حسية ولا بتأمل عقلي كفكرة الله، وهذه الأفكار تدرك بالحدس الذي لا يخطئ أبداً فوظيفته التصور فقط ولا يصدر حكماً، والخطأ هو إصدار الأحكام على موضوعٍ ليس واضحاً[٣]

وعن أهمية الحدس عند ديكارت يقول:" إذا تبين لنا من الأمور التي نبحث عنها أن شيئاً ما لم يستطع ذهننا حدسه حدساً كافياً، فينبغي أن نتوقف

(١) – دروس في الفلسفة ص ٣٠١– ٣٠٤، الأعلام من الفلاسفة: ديكارت ص٢٢، ٢٣
(٢) – دروس في الفلسفة ص ٣٠٥
(٣) – انظر: الأعلام من الفلاسفة: ديكارت ص ٢٥

عند ذلك الحد ولا نتجاوزه إلى فحص ما بعده من الأمور، بل ينبغي أن نزهد في عملٍ لا طائل من ورائه:[١]

ويقسم ديكارت الأفكار إلى:

- أفكار فطرية مودعة فينا بالقوة
- أفكار تأتي إلينا من خارج أنفسنا
- أفكار مصطنعة ومخترعة نخلقها نحن خلقاً [٢]

ونلاحظ هنا أن ديكارت اعتبر **وجود الله** من الأفكار الفطرية المودعة في النفس، وهنا يصدر لنا ديكارت نظريته عن **(الكوجيتو)** التي هي حجر الأساس في الهرم المعرفي عنده وصيغتها الجملة الشهيرة عنه :(أنا أفكر إذن أنا موجود) يقول ديكارت: " فلو أنني شككت في كل شيء لا أستطيع أن أشك في أنني أفكر، أنا الآن وأنا أشك بمعنى أنني أفكر، الشك تفكير، ولا يمكنني أن أكون مفكراً دون أن أكون موجوداً "[٣]

وعن معرفة **((العالم الخارجي))** يبحث ديكارت عن وسيلة لتفسيره، فالعالم الخارجي أي ذلك العالم الذي نفترض وجوده مستقلاً عن الذات وحالاتها فيرى أن الوسيلة الوحيدة هي " الله" فيقول:" إن طبيعة الله اللانهائية تضمن وجود العالم الخارجي، وتضمن صدق أفكارنا عنه"[٤]

وخلاصة القول أن :ديكارت ينشد المعرفة اليقينية التي لا يعتريها شك التي هي مزيج من الوقائع الحسية والأفكار العقلية تقوم على الحدس العقلي (النور الطبيعي) والوقائع التجريبية ثم الاستنتاج ووسيلته في ذلك التخلية

---

(١) – انظر: قواعد لتوجيه الفكر، رينيه ديكارت ص ٦٢
(٢) – انظر: التأملات في الفلسفة الأولى ص ١٣٧، ١٣٨
(٣) - المعجم الفلسفي جميل صليبا (ج٢ ص٢٤٩، ٢٥٠)
(٤) – انظر: دراسات في الفلسفة الغربية. صادق جلال العظم. ص٢٠. جداول للنشر(لبنان) ط١ ٢٠١٢م

ثم التحلية أي تفريغ العقل من الأفكار السابقة وكافة العلوم التي تلقاها،و كل شيء عند ديكارت يبدأ بالشك أي التمحيص، ثم الارتقاء الى إدراك المعارف اليقينية، أما الحواس عنده لا قيمة لها بالنسبة للمعرفة اليقينية فهي مجرد أدوات عملية والعقل : إشراق طبيعي ، فطريقة الشك المنهجي يعني عدم الوثوق بشيء ، وإعادة النظر في كل المورثات ، اليقين الوحيد الموجود عند ديكارت ولا يقبل الشك أبداً هو أنه موجود.

تعقيب

مما سبق يتضح أنه قد ظهر في العصر الحديث شكلاً أحدث للسؤال الفلسفي وهو **السؤال الفلسفي النقدي** الذي تميز به **السؤال الأوربي** عن **السؤال اليوناني** القديم فالسؤال في **الطور اليوناني** كان عبارة عن فحص دعوى السائل وتوليد المعرفة ، أما **الطور الأوربي** فالسؤال عبارة عن نقد مقتضاه أن لا يسلم السائل بأي قضية– كائنة ما كانت– حتى يقلبها على وجوها المختلفة، ويتحقق من تمام صدقها، مستنداً إلى معايير العقل، والفرق بين **النقد والفحص** هو أن الأول يوجب النظر في المعرفة ويقصد الوقوف على حدود العقل ، في حين أن الثاني يوجب الدخول في الحوار لإفحام السائل[١]

ومما ينبغي التنبيه عليه أن فرنسيس بيكون(ت:١٦٢٦م) وضع منهجه الفلسفي وطريقته الخاصة في تحصيل المعرفة بالإكبار من شأن التجربة حتى صار أحد أهم وأشهر روادها، أما ديكارت فقد وضع منهجه الفلسفي بالإكبار من شأن الشك حتى لا نسلم بشيء إلا بعد أن نعالجه. لكن الفرق بين فرنسيس وديكارت أن منهج ديكارت يقوم على العقل، ولكن البرهان عند **فرنسيس** تجريبي يجرى باليد كما يجرى بالعقل أي أنه يجب أن نجرب أكثر مما نفكر، فمنطق ديكارت يقول: اقعد على كرسيك، وتأمل وفكر بعقلك، وشك في كل شيء، واحترس من الخطأ في القواعد الأربعة التي وضعها، ومنهج فرنسيس يقول: انهض، شاهد بعينك، افحص بسائر حواسك، ضع الافتراضات، ولاحظ ثم جرب بيديك "

---

[١] – انظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي دكتور طه عبد الرحمن ص١٣، ١٤

ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أن الأبحاث التجريبية انتفعت من منهج ديكارت من حيث عدم التسليم بصحة الأقوال والعقائد أو الفروض التي لم يفحص عنها فنزعة ديكارت نزعة فلسفية بحتة بينما بيكون نزعته علميه[١]

وهنا نتساءل هل وصل ديكارت بمنهج الشك إلى مبتغاه؟ هل مراحل عملية الشك عند ديكارت تختلف كثيراً عن منهج فرنسيس؟

الشك عند ديكارت مثله مثل أي عمليه فكرية أو حركة ذهنية للعقل في محاولة لفهم وتفسير وإدراك الحقائق، وضع له ديكارت مراحل واحدة بعد أخرى، ولو افترضنا نجاح مذهب الشك عند ديكارت في الوصول إلى معرفة يقينه؛ لصرنا في سلسلة الشك إلى مالا نهاية. فعندما تنتهي من الشك في شيء تجد نفسك مجبراً مرة أخرى على الشك في شيء أخر وهكذا بغير انتهاء، وأدرك ديكارت نفسه هذا المعنى عندما توقف بالشك عند الشيء الوحيد الذي لا يشك فيه وهو وجوده وإلا لطاح المذهب بأكمله.

وغاية القول: إن ديكارت كان قادراً على بدأ نظام فلسفي بالطريقة التي شاءها حتى صار علماً عليها ولا تذكر إلا مقترنة باسمه، وأعني به **(الشك الديكارتي)** ويتقابل منهج ديكارت مع منهج بيكون في مرحلة التمحيص والتدقيق في الأفكار السابقة والمورثات وكذا في الاعتماد على الوقائع التجريبية وهو الجزء الإيجابي في شك ديكارت والذي يؤكد على الترابط بين العلوم وأن بعضها يؤثر في بعض وبعضها يسلم إلى بعض.

وقريب من هذا المعنى قول من يقول:" إن ديكارت قد سار في رأيه عن مصدر المعرفة ومدى يقينها في خطوتين: إحداهما تهدم والثانية تبني؛ لكنه كان أقوى في جانب الهدم منه في جانب البناء؛ فلئن كان في المرحلة الأولى–

(١) – ما هي النهضة ص ٤٨ بتصرف يسير

مرحلة الشك – فيلسوفاً ثائراً على تقبل الناس في العصور الوسطى لأفكارهم تقبل التسليم، فقد عاد في المرحلة الثانية فانتكس إلى إيمان العصور الوسطى"[١]

[١] – انظر: نظرية المعرفة. زكي نجيب محمود ص ٤٨ / مؤسسة هنداوي للنشر– المملكة المتحدة / ٢٠١٨م

الخـــــاتمـة

السؤال الفلسفي .... النتائج والتوصيات

وفي نهاية البحث والذي استعرضت فيه السؤال الفلسفي عبر العصور الفلسفية المختلفة – المحددة والمذكورة سابقاً – ووقفت فيه على صيغ السؤال المختلفة التي كان لها بالغ الأثر في تطور الفكر الفلسفي فيما يخص تحصيل المعرفة وإدراك الحقيقة؛ توقفت قاطرة البحث عند الخاتمة، ويمكننا **الآن تلخيص صيغ وأدوات السؤال الفلسفي ومهارات الوصول إلى المعرفة كما وردت في البحث:**

- **الدهشة والتأمل**
- **الجدل والحوار**
- **الشك المطلق**
- **الملاحظة والتجربة**
- **السؤال النقدي**
- **الشك المنهجي**

وكلها مهارات جمعت بين العقل والحس

وإلى القارئ أقدم النتائج المستخلصة من البحث وأتبعها بأهم التوصيات:

أولا: نتائـــــــج البحث:

- الفلسفة عملية ذهنية ونشاط فكري وجدت بوجود الإنسان، وهي التأمل المستمر، الفاحص والناقض، والناقد، السؤال وراء السؤال، الشعور المزعج والاحساس بعدم الثبات، نزعة الفضول والفطرة التي ستخلص الانسان من أوهام الجهل وتفتح له آفاق العلم والمعرفة.

- كان السؤال الفلسفي حاضراً بأشكالٍ وصيغ مختلفة في كل عصر من عصور الفلسفة طبقاً لاختلاف مناهج طلب المعرفة ؛ ففي عصر اليونان أخذ السؤال الفلسفي طابعاً أخلاقياً حول العدالة والحكمة والخير في محاولة الوصول إلى فكرة " **المجتمع المثالي** " وتحدث الفلاسفة آنذاك عن فكرة "**الإله الخير**" الذي يفيض بكل الخير، وظهرت مفاهيم أخلاقية كالضمير والمساواة إذ كانوا يسعون إلى التخلص من الجهل وكانت " **الدهشة**" نقطة انطلاقهم نحو غايتهم المنشودة ، فاندهش أرسطو وبدأ يسأل نفسه ، واندهش سقراط ، واندهش أفلاطون وأخذ يسأل عن الفضيلة وظهر في العصور الفلسفية الأولى **منهج الشك عند السفسطائيين** لكنه كان شكاً مطلقا يهدف إلى هدم الثوابت، لا يتوقف فيه صاحبه عن الشك أبداً، وهو لا يوصل إلى معرفة ولا يروي ظمأ سائل.
- وفي عصر آباء الكنيسة والعصر الوسيط كانت السمة الغالبة هي المحاولات المستميتة للتوفيق بين العقل والوحي رغبة منهم في جعل سلطة العقل القديم وسلطة الدين الجديد على وفاقٍ واتساقٍ، وأنهما لا يتعارضان، فإن تعارضا فالغلبة للوحي والنصر للكنيسة والسيطرة لرجالها.
- وعلى صعيد الفلسفة الإسلامية فقد اتخذ الفلاسفة من الوحي مصدراً رئيساً ومحفزاً أساسياً إلى طلب المعرفة وطرحت الأسئلة بأنواعها حول الذات والصفات والموت والخلود والروح والجنة والنار ثم الأمر بالنظر والتفكر والبحث في الكون عن الأجوبة الشافية الكافية منطلقين من مصادر الإسلام القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ ثم لا ننكر تأثر فلاسفة الإسلام بالفلسفة اليونانية فشرحوا وترجموا كتباً وأضافوا ونقدوا كتباً، وحاولوا التوفيق بين الفلسفة والدين واضفاء الصبغة الإسلامية على بعض الأفكار اليونانية.

- ثم جاء رجال عصر النهضة ورواد الفلسفة الحديثة بمناهج جديدة تعمد إلى تحليل أخطاء العقل الإنساني فسماها فرنسيس بيكون أوهاماً يجب التخلص منها، ودعا ديكارت إلى الشك فيها كلها وتحليلها وتمحيصها وصولاً إلى المعرفة اليقينية.
- كان العقل وسيلة مهمة في بلوغ هدف الوصول إلى المعارف اليقينية عند كل الفلاسفة بنسبٍ متفاوتة وتحليلات متباينة فالدهشة والسؤال والشك والحدس كلها مهارات عقلية فوصول الفيلسوف إلى المعرفة بأي مهارة من تلك المهارات يعد استخداماً للعقل وإن زعم عدم التسليم بمدركات العقل، والخلاف حول منهج التطبيق فقط.

وأخيراً إلى القارئ بعض التوصيات: وهنا نطرح بعض الأسئلة

- هل دهشة العصور الأولى مناسبة الآن في العصر الرقمي وعصر الذكاء الاصطناعي؟
- هل تساؤلات سقراط واستخدامه " التوليد والتهكم" يمكن تحديثه وتطبيقيه في مناهج التعليم المعاصر التي اختفى منها الإبداع الفكري وصار التقليد منهجاً، والجهل عذراً؟
- هل يمكن أن نفكر في أي قضية عقدية كانت أو مجتمعية دون استخدام الشك المنهجي كشك الغزالي وديكارت دون الوقوع في فخ الإلحاد والانحراف العقدي أو الأخلاقي؟
- هل يناسب هذا العصر تلجيم العقول وتكميم الأفواه ورد الأسئلة؟ أما أن الأنسب والأصح هو التعليم والتدريب على مهارات إعداد وطرح الأسئلة وعصف الفكر ثم تنقيح الأجوبة؟
- كما نحث دائماً على العناية بالتراث تمحيصاً وتنقيحاً للحفاظ على الهوية العقدية نوصي أيضاً بالتدرع بمهارات العصر الحديث وتطويعها لخدمة

القضية الأسمى، وهي وقف الجمود والتحجر الفكري وتشجيع ودعم الإبداع الحر المنضبط ، ومنها أن يتعلم الإنسان مهارة إعداد الأسئلة كخطوة ثانيه بعد أن يدهش عقلة قضية ما ، فيحفزه الاندهاش أو نزعة الفضول لإثارة التساؤل ثم يبدأ الحوار والجدال والنقاش ، ثم يشرع في طرح الأسئلة على نفسه أو على طرف أخر للحوار ويكون الهدف والغاية هي الوصول إلى المعرفة لا لمجرد طرح الأسئلة التي لا تنتهي عن حد وإلا كان جدالاً مغالطياً ونقاشاً سفسطائياً.

- أخذ أسئلة البسطاء والعوام وكذا أسئلة الأطفال في الاعتبار ومحاولة الكشف عن طرق جديدة للإجابة عن أسئلتهم تلكم الأسئلة التي تهدد الفطرة في هذا العصر فهي وإن لم تكن عميقة أو فلسفية فهي فضولية أو طفولية لو أهملت ربما تستغل أو توجه في غير طريق الهداية والرشاد.
- استكمال دراسة تطور السؤال الفلسفي وعلاقته بالمعرفة في الفلسفة المعاصرة والفكر الحداثي وأثر ذلك على المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القران الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:

- **إحصاء العلوم** لأبي نصر الفارابي ت: ٣٣٩هـ /تقديم: د: علي بو ملحم / دار ومكتبة الهلال– بيروت/ ط١ لسنة ١٩٩٦م.
- **إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ/ دار المعرفة – بيروت
- **اعترافات القديس أوغسطينوس**/ ترجمة الخوري يوسف العلم/ ط٦ المعهد الأكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي – مصر ١٩٨٧م
- **الأعلام** لخير الدين الزركلي ت: ١٩٧٦م / ط١٥ لسنة ٢٠٠٢م / دار العلم للملايين – مصر.
- **الأعلام من الفلاسفة: أوغسطين (فيلسوف العصور الوسطى)** للشيخ كامل محمد محمد عويضة / دار الكتب العلمية–بيروت / ط١ لسنة ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
- **الأعلام من الفلاسفة: الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى** الشيخ كامل محمد محمد عويضة/ دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ لسنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- **الاعلام من الفلاسفة: أنسلم بين الحضارة الأوربية والعصر والوسيط** / كامل محمد عويضة / دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ لسنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- **الاعلام من الفلاسفة: ديكارت (رائد الفلسفة في العصر الحديث)** الشيخ كامل محمد عويضة/ دار الكتب العلمية– بيروت / ط١ لسنة ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

- **الأعلام من الفلاسفة: فرنسيس بيكون (فيلسوف المنهج التجريبي الحديث)** للشيخ كامل محمد عويضة / دار الكتب العلمية- بيروت/ط١ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- **آفاق الفلسفة** د. فؤاد زكريا/دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت / ط١ لسنة ١٩٨٨م
- **الأعلام من الفلاسفة: توماس الأكويني/** كامل محمد عويضة دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١ لسنة ١٤١٣هـ -١٩٩٣م
- **الآم العقل الغربي (الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم)** ريتشارد تارناس/ترجمة: فاضل جتكر/ العبيكان – المملكة العربية السعودية /ط١ لسنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- **الأورجانون الإسلامي (نظرية المعرفة الإسلامية)** / د: عطية عدلال / / هدهد للطباعة والنشر- تركيا/ ط١ لسنة ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م
- **الأورجانون الجديد لفرنسيس بيكون** / د: فؤاد زكريا/ الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٤م
- **أوهام العقل (قراءة في الأورجانون الجديد لفرنسيس بيكون)** د. عادل مصطفى/ مؤسسة هنداوي- المملكة المتحدة.
- **البحث الفلسفي من سقراط إلى سارتر/** تأليف: ت.ز. لافين /ترجمة: أشرف محمد كيلاني/المركز القومي للترجمة – القاهرة/ ط١ ٢٠١٢م .
- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** للفيروز آبادي ت٨١٧هـ/ تحقيق: محمد علي النجار/ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة ١٤٠٦هـ -١٩٩٦م.

- **تاج العروس من جواهر القاموس** للزبيدي ت: ١٢٠٥هـ تحقيق: جماعة من المتخصصين/وزارة الإرشاد– الكويت، المجلس الوطني للثقافة– الكويت/ (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م).
- **تاريخ الفلسفة الإسلامية من القرن الثامن حتى يومنا هذا** / ترجمة دكتور كمال البازجي /دار المشرق – بيروت/ ط ٢ لسنة ٢٠٠٠م.
- **تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط** يوسف كرم / نسخة مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٤م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**/وليم كلي رايت/ترجمة: محمود سيد أحمد/ تقديم ومراجعة: إمام عبد الفتاح إمام/ التنوير للطباعة والنشر – بيروت (لبنان) ط١ ٢٠١٠م.
- **تاريخ الفلسفة اليونانية** ليوسف كرم / مؤسسة هنداوي للنشر/ المملكة المتحدة ٢٠١٤م.
- **التأملات في الفلسفة الأولى**/رينيه ديكارت/ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة– القاهرة
- **تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة**.أ.د عبد الله شمت المجيدل/دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع /ط١ ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م
- **التفكير الفلسفي (المبادئ– المهارات وتطبيقاتها)** د: مصطفى النشار/الدار المصرية اللبنانية–مصر/ط١ ٢٠١٣م
- **تمهيد للفلسفة** / د: محمود حمدي زقزوق / دار المعارف – مصر / ط٥ لسنة ١٩٩٤م
- **جامع بيان العلم وفضله** /لابن عبد البر/ تحقيق: أبو الأشبال الزهيري/دار ابن الجوزي – السعودية/ ط١ لسنة ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

- **جمهورية أفلاطون** /ترجمة: فؤاد زكريا/ط٢٠٢٣/ مؤسسة هنداوي- المملكة المتحدة ٢٠٢٣م.
- **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي** د: طه عبد الرحمن /المركز الثقافي العربي – المغرب / ط٢ لسنة ٢٠٠٨
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**/أبو نعيم الأصبهاني/ مطبعة السعادة- مصر/١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.
- **الخلاصة اللاهوتية** / توما الأكويني/ ترجمة الخوري بولس عواد/طبعة المكتبة الأدبية/بيروت١٨٨١م.
- **دراسات في الفلسفة الغربية**/ صادق جلال العظم/جداول للنشر(لبنان) ط١ ٢٠١٢م
- **دروس في الفلسفة الإسلامية** /عبد الجبار الرفاعي/ مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع / ط١ ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م
- **دعوة للفلسفة (كتاب مفقود لأرسطو)** ترجمة د: عبد الغفار مكاوي/ دار التنوير للطباعة – بيروت
- **الدهشة الفلسفية**/جان هرش/ ترجمة: محمد آيت حنا/ منشورات الجمل – بيروت/ ط١ لسنة ٢٠١٩م
- **ديكارت مبادئ الفلسفة** / رينيه ديكارت / ترجمة: د. عثمان أمين/دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٥م
- **السؤال عن الإله وعن الكون وعن الإنسان** / محمد ناصر/ مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية – العراق / ط١ لسنة ٢٠٢٠م
- **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية** لابن دقيق العيد/ مؤسسة الريان – بيروت/ط٦ لسنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** للجوهري ت تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين- بيروت/ ط٤ لسنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** /لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ /تحقيق: د: مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق /ط٥ لسنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٥م.
- **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ/تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ طبعة عيسى الحلبي وتصوير دار إحياء التراث العربي- بيروت/ ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
- **عمالقة الفكر الفلسفي** د. أيوب أبو دبه /آلان ناشرون – الأردن /ط١ ٢٠٢٤ م،
- **العين للخليل بن أحمد** الفراهيدي ت ١٧٠هـ/ تحقيق: د. مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال.
- **الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية** / محسن س.مهدي / ترجمة: د. وداد الحاج حسن / دار الفارابي – بيروت/ ط١ لسنة ٢٠٠٩م /
- **فضائل الصحابة** للإمام أحمد بن حنبل /تحقيق: د. وصي الله محمد عباس/ مؤسسة الرسالة – بيروت / ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- **فقه الفلسفة** د.طه عبد الرحمن/ المركز الثقافي العربي /ط ١ ١٩٩٥م
- **فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان)** للدكتور: عبد الحليم محمود ص٦٧- ١٣١ / ط٢ / مكتبة الأنجلو المصرية.

- **الفلسفة الإسلامية وأعلامها** / للدكتور يوسف فرحات / ط١ لسنة ١٩٨٦م / ترادكسيم – شركة مساهمة سويسرية– جنيف.
- **فلسفة عصر النهضة لأرنست جوخ** / ترجمة: إلياس مرقص/ دار الحقيقة للطباعة والنشر /ط١ لسنة ١٩٨٠م
- **فلسفة العصور الوسطى**/ عبد الرحمن بدوي / وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم – بيروت / ط٣ لسنة ١٩٧٩م
- **الفلسفة الوسطية** أدوار جونو ترجمة د: على زيعور/دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت/ط١ ١٩٧٩م.
- **فلسفة فرنسيس بيكون**. د. حبيب الشاروني/ دار الثقافة – الدار البيضاء– المغرب/ ط١ لسنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م
- **الفلسفة موضوعات مفتاحية** /جوليان باجيني، ترجمة: أديب يوسف شيشدار التكوين – سوريا/ ط١ ٢٠١٠م.
- **قواعد لتوجيه الفكر**. رينيه ديكارت/ ترجمة وتقديم سفيان سعدالله. دار سراس للنشر (تونس) ٢٠٠١م
- **كتاب النفس لأرسطو** / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني/ المركز القومي للترجمة– القاهرة/ ط٢ ة٢٠١٥م.
- **ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس**/ د: عبد الرحمن بدوي/ الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥م
- **ما هي النهضة** لسلامة موسى / مؤسسة هنداوي – المملكة المتحدة / ط ٢٠١١م
- **ماهي الفلسفة؟** د: حسسين على / دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت / ط٢٠١١م

- **مختصر تاريخ الفلسفة العربية** لماجد فخري / دار الشورى – بيروت/ ط١ لسنة ١٩٨١م
- **مدخل إلى الفلسفة القديمة** /أ.هـ أرمسترونج ،ترجمة :سعيد الغانمي /دار كلمة والمركز الثقافي العربي – الإمارات العربية المتحدة/ ط١ ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م
- **المدخل إلى نظرية المعرفة** / د: علي عبد المعطي محمد / دار المعرفة الجامعية – مصر / ٢٠٠٠م
- **مدخل إلى نظرية المعرفة**/ د: أحمد للكرساوي /تكوين للدراسات والبحوث،
- **مسند الدارمي** لأبي محمد عبد الله الدارمي / تحقيق: حسين سليم أسد الداراني /دار المغني للنشر– المملكة العربية السعودية ط١ ١٤١٢هـ–٢٠٠٠ م.
- **مشكاة الأنوار** للغزالي ت ٥٠٥هـ /تحقيق: د: أبو العلا عفيفي/الدار القومية للطباعة – القاهرة
- **معارج القدس في مدارج معرفة** النفس للإمام الغزالي ت ٥٠٥هـ / دار الآفاق الجديدة– بيروت/ط٢ لسنة ١٩٧٥م
- **المعارف العقلية** لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ / تحقيق: عبد الكريم العثمان /ط١ لسنة ١٩٦٣م – ١٣٨٣هـ/ دار الفكر – دمشق.
- **المعرفة عند أرسطو**/ د: مصطفى النشار/ دار المعارف – مصر/ط٣ لسنة ١٩٩٥م.
- **معجم الفلاسفة** لجورج طرابيشي / دار الطليعة –بيروت/ ط٣ لسنة ٢٠٠٦م.

- **المعجم الفلسفي** / تصدير إبراهيم مدكور/ مجمع اللغة العربية- القاهرة.
- **المعجم الفلسفي** /د: جميل صليبا/ دار الكتاب اللبناني – بيروت /١٩٨٢م.
- **المفردات في غريب القران** للراغب الأصبهاني ت ٥٠٢هـ / تحقيق: صفوان عدنان الداوودي/دار القلم، الدار الشامية- دمشق- بيروت/ط١ لسنة ١٤١٢هـ
- **مقدمة ابن خلدون** ت٨٠٨هـ / تحقيق عبد الله محمد الدرويش/ ط١ لسنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م
- **مقهى سقراط (نكهة مختلفة للفلسفة)** تأليف: كريستوفر فيلبس/ ترجمة: هادي آل شيخ ناصر/ دار آثر للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية/ ط١ لسنة ١٤٣٤هـ-٢٠٢١م.
- **الملل والنحل** لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ/ مؤسسة الحلبي ط ١٤٣١هـ
- **المنقذ من الضلال** لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ / ضمن مجموعة رسائل الإمام أبو حامد الغزالي / تحقيق إبراهيم أمين محمد /المكتبة التوفيقية – القاهرة.
- **موجز تاريخ الفلسفة/** تأليف: مجموعة من أساتذة السوفيات/ ترجمة د: توفيق سلوم/ط١ لسنة ١٩٨٩م / دار الفارابي بيروت
- **ميزان العمل** لأبي حامد للغزالي ت٥٠٥هـ /تحقيق: د. سليمان دنيا/ / دار المعارف- مصر ط١ لسنه ١٩٦٤م.

- **نظرية المعرفة بين القران والسنة** للدكتور: راجح عبد الحميد الكردي/مكتبة المؤيد– المملكة العربية السعودية/ ط١ لسنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م
- **نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني/** لمحمود قاسم / مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة
- **نظرية المعرفة (المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات** للسبحاني / بقلم: الشيخ حسن محمد مكي العاملي/ الدار الإسلامية للطباعة والنشر – بيروت /ط١ لسنة ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
- **نظرية المعرفة/** زكي نجيب محمود/ مؤسسة هنداوي للنشر – المملكة المتحدة ط ٢٠١٨م.

فهـــــرس الموضـــــوعات

ملخص البحث
المـــــــــقدمـة
مشكـــلة البحث
أسباب اختيار الموضوع
حدود البحث وأسباب اختيار نماذج الفلاسفة
خطة البحث والدراسة
المبحث الأول: بين يدي مصطلحات البحث والكلمات المفتاحية
المطلب الأول: السؤال في اللغة والاصطلاح
السؤال في اللغة
السؤال في الاصطلاح
السؤال في الاصطلاح الفلسفي
السؤال العلمي والسؤال الفلسفي
المطلب الثاني: السؤال في القران والسنة
السؤال في القران الكريم
السؤال في السنة النبوية
أجوبة القران الكريم وعلاقتها بالسؤال
المطلب الثالث: نظرية المعرفة وإمكانها
نظرية المعرفة
الإمكان في اللغة والاصطلاح
إمكان المعرفة بين المثبتين والنافين
علاقة السؤال الفلسفي بالمعرفة

علاقة السؤال الفلسفي بالجواب
المبحث الثاني: السؤال الفلسفي في العصر اليوناني
ما قبل سقراط.
السفسطائيون
سقـــــراط (ت: ٣٩٩ق.م)
أفلاطـــــون (ت:٣٤٧ ق. م)
أرسطـــو (ت: ٣٢٢ق.م)
تعقيب
المبحث الثالث: السؤال الفلسفي في العصر الوسيط (المسيحي – الإسلامي)
أولاً: العصور الوسطى الأوربية
المطلب الأول: القديس أوغسطينوس (٣٥٤م- ٤٣٠م).
المطلب الثاني: القديس توما الأكويني **(١٢٢٥- ١٢٤٧م)**.
ثانياً: العصور الوسطى الإسلامية
المطلب الأول: الامام الغزالي ت ٥٠٥هـ
المطلب الثاني: ابن طفيل ت: ٥٨٠هـ
تعقيب..
المبحث الرابع: السؤال الفلسفي في عصر النهضة ومشارف العصر الحديث
أولاً: عصر النهضة: فرنسيس بيكون **(١٥٦١م – ١٦٢٦م)**
ثانياً: الفلسفة الحديثة: رينيه ديكارت **(١٥٩٦م –١٦٥٠م)**
تعقيب
الخاتـــــــمة
قائمة المصادر والمراجع